



صور من الكتاب والسنة



الهدف من هذه الصور تقديم مادة درامية مستوحاة من قصص القرآن .. مكتوبة بطريقة بسيطة وهي مرتبة ترتيباً زمنياً.

وهناك نوعية أخرى مستوحاة من سيرة النبي ﷺ والصحابة والتابعين والنوعية الثالثة مناقشات وآراء حول الفن من منظور ديني بشكل عام .. وكيف يكون الفن أخلاقياً .. ويمضي على طريق الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ .

قدمت هذه النوعيات لأننا يجب أن ندرك بأن علاقتنا بالقرآن الكريم تبدأ بنصوصه .. ولكنها تستمر بأفعالنا .. وتصرفاتنا المنصوص عليها في الكتاب الكريم وهي دوائر تتسع إلى ما لا نهاية في كافة أوجه وأنشطة حياتنا إلى ما شاء الله . ولهذا تحدثت عن دراما القرآن الكريم بالشكل المباشر والغير مباشر بعضها من بعض .. ولعلنا في ذلك نستعين بقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما وصفت النبي ﷺ بالقرآن الذي يمشي على الأرض .

المشهد الأول للخلقة!

اشتد فساد الجن في الأرض واشتعلت المعركة بينهم وبين الملائكة .. بل وبينهم وبين الجن من امثالهم وكانت المعركة قد قاربت من نهايتها .. هلك من هلك من الجن وقتل من قتل وطرد من طرد وفجأة جاء أمر من الله سبحانه وتعالى للملائكة :

- ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] بدت الدهشة على وجوه الملائكة وكان جوابهم لرب العزة :
- ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: 30] ورد المولى سبحانه وتعالى :
- ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

واستجاب الملائكة لامر ربهم.. وجاء الأمر الألهي لأحد الملائكة أن يهبط إلى الأرض ويأخذ قبضة من ترابها تجمع كل عناصرها وألوانها.

وأطاع الملاك أمر ربه وعاد بقبضة التراب لكن بكاء الأرض بلغ عنان السماء وسمعه رب العزة فسألها : ماذا يبكيك ايتها الأرض؟

وكان جوابها : ابكى على ما نقص مني!

لكن الله سبحانه وتعالى اخبرها بانه سيرد عليها ما أخذه منها.

وعند باب الجنة وضع الملاك قبضة التراب كما امره الله سبحانه وتعالى وخرج رضوان حارس الجنة يحمل بعض ماء احد انهار الجنة (التسنيم).. وبدأ يعجن حفنة التراب حتى صارت طينا متماسكاً وهو ما يسمى بالطين اللازب وظلت الطينة بعد عجنها مدة اربعين عاما حتى ييست وجفت واصبحت كالنفخار مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14] وبدأت صورة آدم تظهر في أحسن تقويم.. حتى اكتملت الصورة التي احسن الله صنعها وهو خير الصانعين.

وكان لابد للخلقة الحسنة ان تكتمل بالروح.. وهى سر الله..

أخذت الروح تدب شيئا فشيئا.. وصلت النفحة الالهية إلى الرأس فاستيقظت الحواس

بدأت العين ترى

بدأت الأذن تسمع

وصلت الروح الى الأنف عطست

ونزلت الى الفم فألهمه الله النطق قائلا :

- الحمد لله رب العالمين

وكان جواب الرب الكريم الرحيم الرحمن

➤ يرحمك الله يا آدم

واستمرت الروح تسرى في الجسد وبلغت الصدر ثم البطن ثم الى الركبتين..
وتعجل آدم وهم بالجلوس فلم يقدر على ذلك.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الاسراء: 11]!!

فماذا جرى بعد ذلك!!

-2-

ابليس يعلن العصيان

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الاسراء: 11]

هكذا وصف ربنا سبحانه وتعالى مخلوقه الآدمي بعد ان نفخ فيه الروح.. وبعد ان وصلت من صدره الى بطنه ثم الى ركبتيه وتعجل وهم بالجلوس فلم يقدر.. حتى تغلغلت الروح في جسده كله ونهض وتحرك وبدأ اولى خطواته.. وقد كساه الله سبحانه وتعالى هيئة وجمالا وأظهر نور الكرامة في وجهه وألبسه من حلل الجنة وفضله على كثير من خلقه.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْآلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الاسراء: 7].

فهل تقبل الملائكة المخلوق الجديد المفضل عند الخالق؟

لقد حصنه الله سبحانه وتعالى بالعلم والحكمة وعلمه الاسماء كلها.

ثم قال للملائكة مختبرا اياهم ومظهرًا فضل آدم أمامهم؟

- ما اسماء هذه الأشياء؟

وعجز الملائكة عن الاجابة وقالوا :

- ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 32].

وهنا قال الله تعالى لآدم :

﴿يَقَادِمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: 33]

وراح آدم يتلو الاسماء ويردها ويتحدث عنها ثم جاءت لحظة التكريم الكبرى لآدم بعد تمام خلقه وعلمه.

وصدر الأمر الألهي لجموع الملائكة بالسجود لآدم واستجابوا لانهم لا يعصون ويفعلون ما يؤمرون وقد ادركو افضل هذا المخلوق.. انها سجدة التحية لا سجدة العبادة.

لكن وسط استجابة الملائكة اجمعين.. كان هناك من قرر التمرد واعلان حالة العصيان والتحدى انه ابليس اللعين.. ابدا لم يكن من الملائكة كما يدعى البعض بل كان من الجن وتم اسره في حرب الملائكة ضد الجن.

ولانه أسير لدى الملائكة.. حاول ان يجاريهم في العبادة حتى بدى كأنه منهم وما هو منهم فقد عاد اليه صلفه واعلن رفضه للأمر الألهي وصرخ قائلا :

- انا خير من آدم.. فكيف اسجد له؟

أنا مخلوق من نار وهو مخلوق من طين؟!

وجاء الأمر الألهي.. والحكم النهائي ضد ابليس اللعين :

- ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الاعراف: 13].

فهل انتهى الأمر عند هذا الحد.. الحقيقة انه بدأ.

ايها الشيطان .. من انت؟!

يقول بكل غرور :

انا ابليس المطرود من رحمة الله وأنا الشرير وملاك الهاوية وبعلزبول وعزازيل
وبليعال وانا سلطان الهواء .. والذي يخطئ من البدء والكذاب الحية وصاحب
الأرواح النجسة.

أنا صاحب الغواية الذي أعلنت التحدى والعصيان نجحت مع آدم ابو البشرية
وحواء فأكلا من الشجرة المحرمة.

يصورننى على هيئة حية او تنين له قرنين .. وأنا استطيع ان اتشكل فى اكثر من
صورة للأنس والجن هذه براعتى ..

وقد بنيت عرشى على الماء وأعظم الناس منزلة عندى أعظمهم فتنة بين
الناس .. واعلاهم هذا الذى يفرق بين المرء وزوجه ..

وأحب المشرك والكافر ..

وأحب صاحب البدعة

ويسعدنى ذلك الذى لا يخشى المعصية وخاصة ما يقولون عنها الكبائر ..

وأهمس الى الانسان هون عليك صغائر الذنوب الوقت ملكك والعمر امامك ..
تمتع تمتع ولا تخف.

كنت يوما أعلى الجن شأنًا .. ولا يمكن لمخلوق من طين ان يكون أفضل
منى .. وكيف هذا وأنا اتلاعب بعقله كما أريد .. الا هؤلاء الذين يستعيذون برهم
منى فليس لى عليهم من سلطان.

ومع ذلك هل تنكرون نجاحى وفلاحى مع هؤلاء الذين قرروا عبادتى واعلنوا
محبتى واتخذوا من الموسيقى سلاحاً ..

تريد أن ترانى؟ حسنا

أنظر إلى تلك الفتن بين أهل الديانة الواحدة.. وبين هؤلاء الذين تاجروا بالدين لحسابهم الخاص.

انظر إلى تلك الحروب المشتعلة في أرجاء الأرض.. وهذا الظلم الذى حول أكثر من نصف سكان الأرض الى مجموعة من الجوعى والمشردين والتعساء ولى الحق ان أفخر بان تكون المكانة الرفيعة.. فى كوكبكم للفاسدين والصوص والطغاة والمنحرفين.. والسفلة.. انهم اتباعى الذين يظنون انهم يحسنون صنعا.

ولكنى يجب إن اعترف وكما جاء على لسانى فيما كتب الامام المقدسى :

لكمال شقوتى سألت الأنظار اذوب إذا سمعت الذاكر.. واتمزق إذا رأيت الشاكين وهناك واحد أفر من ظله وواحد أهرب من أمامه لأنه زكى فعله.. وواحد تحرقنى انفاسه وواحد يعجزنى مرأسه.. اذا تاب التائب قصم ظهري وإذا الآيب (العائد) نقص عمرى فما بنيت مع العاصى فى سنة.. تهدمه التوبة فى سنة (لحظة) فأنا فى ويل لا يزول وحرب لا يحول وحزن شره يطول!!

- 4 -

هذه هى حواء .. يا آدم

كان آدم يمشى فى الجنة وحيدا ليس له فيها من زوج يسكن اليها وذات ليلة نام نومة عميقة واستيقظ فوجد عند رأسه امرأة قد خلقها الله من احد اضلاعه.. من نفسه.. نظر اليها مبهوراً بجمالها وسألها :

- من انت؟

قالت : امرأة!!

قال : ولم خلقت؟!

قالت : لتسكن الى... الم تكن وحيدا في هذه الجنة تشعر بالوحشة وتبحث عن الانيس؟

ولان الملائكة تعرف بأن آدم يعرف الاسماء كلها كما علمه ربه.. سألوه : ما اسمها يا آدم؟

قال : حواء!!

ادهشهم الاسم وسألوا مجدداً : ولماذا هي حواء؟

قال : لانها خلقت من شىء حى.

وعاشا في الجنة وكانت الأوامر الالهية الصادرة اليهما ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾

واستجابا للأمر.. لكن هناك خارج الجنة من كان قد أكل الحقد قلبه وتوعدهما بالغواية.. انه ابليس اللعين المطرود من الجنة شر طرده.. لانه رجيم.

لذلك دخلها عن طريق الحية التى كانت من أجمل الحيوانات لكنها اطاعت ابليس وابتلعتة ودخلت به الى حيث آدم وحواء.

كانت الغواية الأكبر من نصيب حواء وأخبرها ان هذه هى شجرة الخلد التى يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها.. ويقاسمها آدم الغواية فقد وافقها ويشاركها فى المسؤولية.. لان الغضب الالهى شملهما معا.. وبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة.. وكأن الخطيئة والمعصية تكشف عورات الإنسان حتى امام نفسه.. بدليل أنه لم يلحظها وهو فى ظل الطاعة.. وقد كان لباسهما قبل ذلك من نور.

ولما رأى ربنا سبحانه وتعالى أن آدم يبحث عن ورق الجنة ليستر عورته ناداه قائلاً : افرار منى يا آدم؟

فقال : بل حياء منك والله يارب مما جئت به!!

وجاء الأمر الالهى :

﴿أَهْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾

ورقص ابليس ابتهاجا بما حققه في بداية عمله الشيطاني وقد هبط آدم وحواء إلى الأرض.. ليبدأ الصراع المحتوم بين الخير والشر.

لكن رحمة الله التي وسعت كل شيء.. شملت الأب آدم بعد ان اعترف بذنبه وأقر به.. وأصابه الندم الشديد وتلقى آدم من ربه كلمات.. كانت هي وثيقة قبول التوبة من الرحمن الرحيم.. ورفع آدم يديه داعيا :

- ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين.. اللهم لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك فتب على انك التواب الرحيم!!

وتوسل الى الله بحبيبه محمد وقد رأى اسمه مكتوبا على قوائم العرش مقترنا باسم الله.. الذي قاله :

صدقت يا آدم ان محمدا أحب خلقى الى ولولاه ما كان خلقى.. وبحقه اغفر لك..

﴿ثُمَّ لَجَنَتهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾

- 5 -

اول جريمة .. فى الأرض

خرج آدم من الجنة وهبط الى الارض.. بعد ان اكل من الشجرة ثم كانت توبة الله عليه..

نزل آدم لا يدري اين هو؟.. هل هي «دحنا» التي تقع بين مكة والطائف؟.. هل هي أرض «الهند»؟.. انه يود لو التقى مجددا مع حواء التي وجدت نفسها في «جدة»..

كان عاريا إلا من ورق الجنة وبكى تأثرا من حرارة الجو وقال يا حواء : قد

آذاني الحر!.. ومعنى ذلك انها كانت في مكان قريب - كما ان ارض الجزيرة العربية هي اشد حرّاً من الهند وينزل الأمين جبريل ويعلم آدم كيف يغزل القطن وكيف يزرع ويحصد... وان يحب حواء ويأتنس بها.

وكان طوال الوقت يبتهل الى ربه :

الم تخلقني بيدك.. ونفخت في من روحي؟ وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك.. فهل يارب أن تبت هل انت راجعي الى الجنة؟

وكان جواب ربه : نعم يا آدم.. ومسح ظهره.. فسقط من ظهره كل كائن حي من ذريته الى يوم القيامة.. وجعل بين عيني كل انسان منهم ومضة من نور وكان احدهم اشد نوراً بين عيني.. وهنا سأل آدم ربه : من هذا؟.. واجابه سبحانه وتعالى: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود وعمره ستين سنة.. وهنا طلب آدم من ربه ان يأخذ من عمره 40 سنة يعطيها لعمر داود وكان آدم يتفحص ذريته ومنهم الأجدم والأبرص والأعمى وانواع الاسقام وكانت حكمة الله ان الشكر على البلاء والصبر عليه من علامات الايمان والاحتفاء بنعمة الله على الأصحاء.. ومن بينهم أهل الجنة وقد خرجوا من كتفه الأيمن.. وأهل النار وقد خرجوا من كتفه الأيسر..

كانت حواء تلد في كل بطن ذكراً وأنثى.. وأمره ربه أن يزوج كل ابن أخت أخيه التي ولدت معه والأخر بالأخرى وهلم جرا ولم تكن تحل أخت ل أخيها الذي ولدت معه..

وأراد «هابيل» ان يتزوج بأخت قابيل وهو الأبن الأكبر وكانت هي الأجل.. لكن قابيل اراد أن يكسر القانون الإلهي وان يتزوج اخته.. وكان الشيطان قد بدأ يعمل على الأرض كما وعد.. وكان قد انجب مجموعة من الشياطين.. وكلما ولد لآدم من ولد.. ولد للشيطان عشر.. ووكّل الله سبحانه وتعالى بقرين خير.. مثلما ترصد.. قرين الشر الشيطاني.

وقد بدأ الصراع بين قابيل وهابيل واوصاهما آدم بان يتقدم كل واحد منهما بقربان الى ربه.. فمن يتقبل الله قربانه يكون هو الفائز بالحسنة.

تقدم هابيل بقربان من غنمه.. وتقرب قابيل بحزمة من زرع ردئ من زرعه.. ونزلت النار وأكلت قربان هابيل وتركت قربان هابيل.. وهنا قرر ان يقتل أخيه في اول جريمة على ظهر الأرض!

-6-

عندما رقص الشيطان

تأخر هابيل عن العودة الى البيت وهو يرعى الغنم وعندما طلب آدم من ابنه قابيل ان يخرج لكشف احوال أخيه.. تهلل وجهه وادرك أن ساعة الصفر قد حانت فقد كان الغيط يتملكه بعد أن تقبل الله قربان هابيل ورفض قربان قابيل.. تلك ارادة الله التي لم يتقبلها الأخ المتمرد الذي لعب الشيطان بعقله ونسى ان الله لا يتقبل الا من المتيقن.

ويبدو أن هابيل استشعر نوايا أخيه ضده.. فقال له : ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِإِيدِيكَ لِأَفْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

وبدلا من ان يراجع قابيل نفسه ازداد اصرارا ان ينفذ جريمته..

وعندما دخل عليه ووجده نائما.. أمسك بحجر ثقيل والقى به فوق رأسه ولما سال دمه وخمدت انفاسه أدرك انه بلغ هدفه.. وحمل الجثمان على كتفه لا يدري ماذا يفعل وكيف يتخلص من آثار الجريمة.. وحمله على ظهره.. ومشى به لمدة سنة.. ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرايين.. فتقاتلا امامه وقتل احدهما الآخر فلما قتله عمد الى الأرض فحفر له فيها ثم القاه ودفنه واهال عليه التراب فلما رأى قابيل ذلك ابدى الأسف على نفسه وقال :

﴿قَالَ يَوَلَّيْتُ أَعْبَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغَرَابِ فَأَوْرَىٰ سَوْءَ أَخِي﴾ وفعل ما فعله

الغراب القاتل بالغراب المقتول وعاش آدم في عظيم الحزن.. وفي ذلك قال الشاعر :

تغيرت البلاد ومن عليها
فوجه الأرض مُعبر قبيح
تغير كل ذى لون وطعم
وقل بشاشة الوجه المليح
وهناك في جبل قاسيون المشرف على دمشق مغارة يقال لها مغارة الدم حيث
دفن فيها قابيل جثمان هابيل.
كان آدم يعلم اولاده سبل الحياة.. ويكلف كل واحد منهما بالعمل الذى
يناسبه.. وحاول ان يصلح بينهم ما شاء الله ان يصلح.

وتذكر آدم كيف ان هابيل كان رحيمًا باخوته في قلبه سماحة وفي خلقه لين وفي
طبعه تعاطف ورغبة في فعل الخير حتى حاشيته كان يحنو عليها واذا رأى كبشا
ضعيفا اسرع اليه وحمله بين يديه وقبله ومسح على جسده.. واذا رأى نعجة تعاني
آلام الولادة سهر بجانبها حتى تضع وكان والده يراه وهو يحسن العناية بالحيوان
فيفرح بولده ويدرك ان الله قد خلق له قلبا كبيرا ووهبه خلقا عظيما ونفسا راضية
فهل مات الخير بموت هابيل وهل انتصر الشر بجريمة قابيل؟..
ومهما رقص الشيطان وتهلل فرحا.. فان كيدَه كان ضعيفا!

- 7 -

آدم في جمعة الرحيل

كان آدم كلما تذكر ابنه هابيل يشتد عليه الحزن.. حتى بلغت الأنبياء ذات يوم ان
امراته قد ولدت له ابنا من نسل هابيل.. وعلى الفور قال آدم :
إن اسمه «شيت» ومعناه هبة الله.

وبدأ يعلمه من صغره.. ساعات الليل والنهار.. والعبادات والطوفان.. وكان آدم كواحد من انبياء الله.. نزلت عليه خمسين صحيفة.. كان آدم يدرك ان أنساب بنى آدم كلها سوف تنتهي الى شيت وان غيرهم من أولاد آدم سوف ينقرضوا.

ويبدو أن آدم كان يسابق الزمن ويعرف ان ساعة الرحيل قد دنت بعد ألف عام.. وقد لاحظ أن الشمس أصابها الكسوف.. وكذلك القمر لسبعة أيام.

وفي احد ايام الجمعة.. دقت ساعة العودة وانتهاء الأجل لآدم وكان قد اشتهى شيئاً من ثمار الجنة لكن الملائكة نزلت تحمله لآدم كفته وحنوطه وكانت ذرية آدم قد انتشرت وبلغت الآلاف.. وأدرك شيت حجم المسؤولية الملقاة عليه من بعد ابيه بخلاف سائر اخوته.

كان شيت يعلم ان الله سبحانه وتعالى سوف يرسل الى بنى البشر مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً من الأنبياء.. وثلاثمائة وثلاثة عشر من الرسل.. وان أول الأنبياء هو آدم.. وان شيت هو ايضا من الأنبياء.

في يوم الجمعة الموعود وفي اللحظات الاخيرة.. اشار آدم الى حواء أن تتركه وجاءت الملائكة.. فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له والحدوه وصلوا عليه ثم ادخلوه قبره فوضعوه فيه ثم قالوا: يا بنى آدم هذه سنتكم مع موتاكم. وكبرت الملائكة على آدم أربعا.

وبعد سنة من رحيل آدم لحقت به حواء.. فهل دفنته الملائكة عند الجبل الذى يقال انه هبط فوقه بالهند؟.. ام انه دفن عند جبل ابن قيس بمكة؟ وهل حمله سيدنا نوح بعد الطوفان مع حواء ووضعهما فى تابوت واحد ودفنه عند بيت المقدس؟

وبعد أن حانت ساعة رحيل شيت اوصى ابنه انوش من بعده ثم توالى الوصايا الى الأبناء قين ومهلاتيل ملك الأقاليم السبعة أول من بنى مدينة بابل..

وقد دامت دولته أربعين سنة.. ثم أوصى من بعده ابنه «خنوخ»!

اتدرى من هو اخنوخ انه «أدريس» النبي المصري!

- 8 -

حرب الشيطان على أهل النيل

اجتمع ابليس باولاده الخمسة وقد كلف كل واحد بمهمة محددة : أيها الابن الأكبر انت «ثبر» صاحب المصيبات وانت من تأمر بالثبور وشق الجيوب..

وانت يا «أعور».. مهمتك ان تشيع الفاحشة وتنشر الزنا وتزينه لبنى آدم..

أما الابن الثالث «سوط».. فإن صناعته الكذب.. وسوف يختص الابن الرابع «داسم» باشعال الفتن والخلافات في البيوت.. وليس عندي أفضل من الابن الخامس «زلنبور» الذي اطلقه في الأسواق.

الان يا ابناء ابليس واعوانه وتابعيه.. وكما اتسعت مملكة آدم عدوى الاول وعدوكم.. ها هي مملكتكم تزداد هي الأخرى وإذا كنا قد خسرنا حرباً فأننا لن نخسر أخرى ونحن لهم بالمرصاد.

ويخرج أحد أعوان ابليس من الصفوف لكي يبلغه.. بالخبر المزعج الذي حاول ان يخفيه لكنه لم يستطيع.. وهنا سأله ابليس:

- ماذا عندك؟

قال : علينا أن نستعد لحرب جديدة.. فقد نزلت النبوة على ابن من ابناء آدم يدعى «اخنوخ».. ويقولون له ادريس وقد نزل في أرض مصر.. وقد عرف كيف يخط بالقلم ويدرس كتاب الله ولذلك سمى ادريسا.. وهو هناك في أرض النيل يدعو الناس الى مكارم الأخلاق وطهارة النفوس.. انه بذلك يفسد لنا ما نفعله.. وقد تعلم كيف يتحدث بـ 72 لسانا ينطق بها قومه.. انه يبنى ويشيد ويعمر.

رد ابليس واثقاً : قد علمت بأمره فهو يقول لقومه : خير الدنيا حسرة وشرها

ندم.. ويقول ايضا : السعيد من نظر الى نفسه وشفاعته عند ربه والصبر مع الايمان
يورث الظفر والفوز.

وعلمت انه اول من غطى اجساد قومه بالثياب ونظر في علم النجوم..
وأخذ اولاد ابليس وأعوانه ينظرون الى بعضهم البعض في دهشة وهلع فكلما
ادركوا انهم تقدموا خطوة اكتشفوا انها تردهم الى الخلف.. وان كيدهم في ضلال.
ثم ماذا يفعلون مع هذا النبي الذي يدعو الى وحدانية الله.. ويحمل الصحف
المطهرة ويتحصن بالعلم والمعرفة وها هي أن المهمة الشيطانية تزداد صعوبة..
وأصدر ابليس اوامره الى اولاده واحفاده واعوانه واتباعه بان تكون أرض النيل
وجهتهم وهدفهم وان يكون منهجهم الشرك بالله وبكل ما جاء به أديس..
فليعبدوا الحيوانات والاصنام من دون الله.

-9-

إديس .. معلم الدنيا والدين

وقف النبي اديس بين أهل النيل يقول :

«ايها الناس اننى ادعوكم الى مكارم الاخلاق.. وعبادة الخالق عز وجل..
وعليكم بتخليص النفوس من آثامها.. فان العمل الصالح في الدنيا.. يأخذكم الى
جنات ربكم في الآخرة يوم البعث.. عليكم بالزهد في هذه الدنيا التى هى فانيه
عليكم بالصلاة والزكاة والطهارة من الجنابه».

وسأل احدهم :

ايها الرجل من اين جئت بدينك هذا.. وقد عشنا وما عرفنا من آلهة لنا.. الا ما
يعبدوا الأباء وما نجده على جدران المعابد؟

قال أديس :

لقد بعثنى ربي.. صديقاً نبياً.. أبى هو آدم.. وهو أيضاً الأب الأول لكم جميعاً..
وقد كان نبياً.. وقد جئت إليكم بصحف مطهرة اتلوها عليكم..

قال الرجل : ومن ربك هذا؟

قال أدريس : الذى خلقكم من تراب.. ورفع السماء بلا عمد والارض على ماء
جمد.. واخرج لكم الزرع.. وسخر لكم الأنعام.. اننى ارشدكم الى طريق الصلاح..
فلا تستمعوا الى وشاية الشيطان فانه عدو الله وعدوكم..!

هكذا اعلن ادريس الحرب على ابليس واعوانه.. وأمر الناس ان يستعيذوا منه
فهو الرجيم الملعون.

عاش أدريس 765 عاماً وكان منهجه ان ينشر الدين بتعمير الدنيا.. ونشر
اسباب الحياة.. والتف حوله الكثير من الناس.. الا من نجح الشيطان في نشر
شباكه حوله واللعب بعقله.

وقد وسوس الشيطان لبعض البشر من ابناء ارض النيل ان يخافوا الحيوانات
ويشعرون بالرهبة منها.. وزين لهم تقديس بعض هذه الحيوانات وان تقديم
القرابين اليها يعصمهم من شرها ويبعد أخطارها عنهم.. ثم ذهب الى ما هو ابعد
من ذلك.. فتحولت الحيوانات الى آلهة من دون الله.. وكانت اشهر تلك
الحيوانات انثى الاسد اللبوة التى تمثلت فى الآلهة «سخت» ولان ادريس نشر
رسالته على اكمل وجه كما أمره ربه.. نال الجائزة وارتفع الى المكان العلى.. وقد
قال القرآن الكريم فى سورة مريم 56، 57 :

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ﴾

وكان المشهد الأخير فى السماء الرابعة.. واحد الملائكة يحمله بين جناحيه..
حيث التقى فى السماء بملك الموت وطويت صفحته.. لكنها ماتزال تثير الكثير
من الجدل.. فى الديانات الأخرى وفى كتب التاريخ وتشكك بعضهم ان يكون
أدريس هو «أخنوخ».. ويقال له فى التوراة السامرية «جنوك».

ودقت طبول الحرب وبدأ اعدوان الشيطان يخططون لحرهم الجديدة على نبى
مصر وعلى أهلها من الموحدين...!!

- 10 -

من أين جاء ادريس .. بهذا؟!

اجتمع الملك «محويل بن اخنوخ بن قابيل» فى قصره ومع رجاله .. يناقشهم فى
أمر هذا النبى الذى يسمى «ادريس» ويدعوهم الى الفضيلة والايمان بالله .. سأل
الملك (حكيم البلاط) : ما قولك فى أمر الذى يدعونا اليه؟

قال الحكيم : مولاي الملك يجب أن نعرف اولاً بان ادريس هذا هو ابن برد
بن مهلائيل ابن قينان بن أنوس بن شيت بن آدم؟ .. وهم يسكنون أعلى الجبل
الذى نعيش أسفله.

سأل الملك مندهشاً : وكيف لهذا النبى أدريس ان يتجرأ علينا الى هذا الحد ..
وكيف له ان يجمع بين الدعوة الى الدين الذى يدعو اليه .. والحياة التى سمعت انه
يعيشها.

يرد الحكيم : مولاي .. هل نسيت ان جده مهلائيل اول من قطع الأشجار وبنى
المدائن والحصون .. انه صاحب بابل .. وتنسب اليه ايضا مدينة السوس
الاقصى .. وقد عاش فى قومه اربعين عاماً .. ملكا عليهم.

يقول الملك : هل صحيح ايها الحكيم ان ادريس النبى هذا .. يعلم الناس
الزراعة وصناعة الادوات ويتخذ من جلود السباع الضارية فرشا ولباساً.

يقول الحكيم : اكثر من هذا ياسيدى انه يعلمهم الكتابة وحياسة الملابس ..
وذبح الأبقار والأغنام .. ان قومهم يأكلون لحومها.

يقف الملك غاضباً : وهل نتركه يتتصر علينا انه على ما يبدو يريد لذرية قابيل
ان تفنى انتقاماً لمقتل جده الأول هابيل .. ويسعى لتغيير حياتنا لاننا ابناء

الشيطان.. وحياتنا هي الضلال والفساد.

يوضح الحكيم : ولهذا جاء يدعو الى ترك عبادة اصنامنا.. وان نغير حياتنا.. الم تسمع يا مولاي ماذا فعل الساحر «بيوراسب» انه يعتبر افعاله مجرد اكاذيب واحتيال.. والغريب ان الساحر فشل ان يغويه..

يسأل الملك مندهشاً : من اين جاء ادريس بكل هذا؟

يرد الحكيم : من عنده ربه ومن اجداده وابيه.. انه ابن «برد» الذي كان أول من عرف الكتابة والخط بالقلم.. لكن ابنه ادريس تفوق عليه ونشر هذا العلم بين قومه.. ولهذا اطلقوا عليه اسم «هرمس» اي المثلث الذي جمع بين الملك والحكمة والنبوة ووقف الملك بين قومه يصيح فيهم :

- هل تقبلون بالهزيمة وان تتبعوا هذا النبي ام انها الحرب نعلنها عليه وعلى من معه وما جاء به!

- 11 -

حذار من ابناء قابيل !!

على فراش مرضه الأخير.. بينما تعمل الزوجة «إدانة» ابنة يايويل بن محويل بن خنوخ بن فاين بن آدم.. على رعاية زوجها النبي ادريس.. طلب منها ان تأتي اليه بولده «متوشلح».. حتى اذا حضر بين يديه قال له :

- يا بني.. اني اوصيك بأمك وبيتنا هذا واحذر من الاختلاط بابناء قابيل ونسله.. لان الله سوف يعذبهم عذابا شديدا جزاء شرورهم وفسادهم وشركهم.. اياك ان تخالطهم حتى لا يصيبك ما سوف يصيبهم.. فقد نصحتهم.. وعرضت عليهم رسالة ابي وما انزل الى من صحف.

قال الابن : وما عدد هذه الصحف يا أبي؟

قال ادريس : ثلاثون صحيفة.. بغير ما نزل على آبائي واجدادى.. وقد جاهدت

فيهم.. ودعوتهم وما استجابوا.. وقد قدمت لهم امور دينهم ودنياهم فما لانت قلوبهم وما ادركت عقولهم.

«متوشلح» : اعاهدك يا أبى أن اظل مخلصا لما دعوتنا اليه من التمسك بالفضائل والاخلاق والخير والصلاح وقد عرفت منك كيف وقعت جريمة قابيل مع اخيه هابيل..!

قال ادريس : لقد لعب الشيطان بعقولهم وظلوا في طغيانهم يعمهون.. وهذا هو كيد الشيطان الذى لا يفلق مع أهل الايمان والعفاف.

اقترب «متوشلح» من ابيه فى مودة وامسك يده يقبلها فى امتنان :

- جزاك الله كل الخير على ما علمتنا.. وقد رأيتك وأنت تخطط الثياب ولسانك لا يتوقف عن ذكر الله.. فاذا غفلت فتقف ما تخطط وعدت الى حياكته مجدداً بلسانك الذاكر وقلبك الشاكر.

يقول ادريس : اذا تعلق قلبك بالله.. لن يقوى عليك الشيطان والحمد لله الذى هدانى الى ارشاد الناس الى ما ينفعهم.. فى حياتهم الاولى والآخرة.

يسأل «متوشلح» : وهل ينتصر علينا اولاد قابيل؟

يقول ادريس : الله غالب على أمره.. ولو بعد.. حين!

وفاضت روح النبی الكريم الصديق.. ورفعہ ربه الى المكان العلیّ فى سمواته.

- 12 -

صانع التماثيل

يقف الشيطان الأعظم وسط مجموعة من اعوانه وتبدو على وجهه علامات الزهور والفخار ويضحك امامهم مسروراً :

- انظروا يا أعوان إبليس.. واحتفلوا بنصركم الكبير على أبناء آدم.. آه ما

أروعنا.. وقد حولنا محبة الناس.. لابناء آدم «ود» و«يغوث» و«يعوق»
و«سواع» و«نسر».. الى تماثيل واصنام يعبدونها من دون الله.. انها مهارتنا
في صنع التماثيل المدهشة.

.. يقول احد الشياطين الصغار :

سيدنا لك المجد.. لقد اقنعتهم واوحيت لهم ان هذه التماثيل ستجعل ابناء آدم
الصالحين المحبوبين.. يعيشون بينهم الى الأبد.. فقد كانوا يتطلعون اليهم باحترام
وتقدير وتبجيل.

يرد الشيطان الأعظم :

- أيها الأعوان.. لاحظوا اننا نتسلل دائما من حيث يحب الناس.. من يحب
الطعام قد يقتله المزيد منه.. ومن يريد المرأة.. نجعلها غوايته وقبره..
وهكذا نفعل مع غرائز البشر... انها وسليتنا التي لا تخطئ.

والآن اصبح اولاد آدم مذاهب وطوائف.. كل فريق يعبد واحداً.. ويفضله على
غيره.. وان كانت قوتهم في وحدتهم فان ضعفهم يبدو لنا في انقسامهم.. دعونا
نحتفل بذلك لقد تناسوا عبادة الله رب آدم.. وانصرفوا الى اصنام اولاده جيلا بعد
جيل.

عشرة قرون مضت حتى الآن.. وانتصاراتكم تدوى وراية ابيكم ابليس الأكبر
ترفرف عالية..

وفجأة يظهر احد ابناء الشيطان وقد اتى من بعيد صارخا في فزع :

- انتظروا.. انتظروا.. يبدو ان احتفالاتكم يجب ان تتوقف على الفور.

يصيح فيه الشيطان الاكبر :

- ماذا تقول ايها الملعون؟

يجيب قائلا : لقد ظهرت دعوة نبي الله نوح.. وهو يحارب كل مفسدنا ويقطع

علينا طريق الضلال...؟

ينظر اليه الشيطان الأكبر في ثقة :

- اغلق فمك ايها المزموم.. أنا اكثر علماً منك ولن يفلح نوح في قومه كما
تظن.. ومهما طال به الأجل.. الا تصدقون ابليسكم الأعظم؟

يهتفون جميعاً : ومن نصدق اذا كذبتك!!

ويتوسطهم ابليس الأول ويخطب فيهم :

اذهبوا وشاهدوا بأنفسكم كيف يتعرض النبی نوح المسكين للضرب والأذى
والبغضاء من قومه انه يشكو الى ربه.. دعوه يشكو.. فهو مغلوب يود لو ينتصر..
ولن ينتصر.. لان اولاد قابيل سيد الشر الاول ينتشرون ويتزايدون ونوح هذا.. لا
يصدقه أو يؤمن به سوى الضعفاء والفقراء والقلّة.

والآن اسألوا هذا النبی قليل الحيلة ما انت فاعل وقد اطال الله في عمرك بين
قومك ودعوتهم ليلاً ونهاراً.. فلم تزد هم دعوتك الا فراراً!!

- 13 -

يا نوح ماذا تصنع؟!

كانت امرأة نوح في عجب من أمره.. وانتحت جانباً.. بابنها كنعان وكانت تميل
اليه اكثر من اولادها الآخرين سام وحام ويافت.

وقالت له :

- اترى ماذا يفعل ابليك؟

قال كنعان ساخراً : انه يزرع اشجار الساج.. هكذا امره ربه.

سألته : وماذا سيفعل بهذه الأشجار

قال : سمعته يقول انه سيبنى بها فلکاً.. تجرى في الماء؟

تضحك امرأة نوح في ذهول مما تسمع؟

- هل اصاب هذا الرجل مس من الجنون.. اى سفينة تلك وكيف تجرى
والارض حولنا لا ماء فيها؟

انصرف كنعان الى حال سبيله قائلاً لاهله :

- دعيني منه ومنك فعندى ما يشغلنى.

وكان نوح يزرع اشجاره ويرعاها.. رغم نظرات الاستهزاء التى تحيط به.. الا هؤلاء الفئة القليلة التى آمنت بدعوته وايقنت ان الله لن يخذلها مهما قويت شوكة الكافرين وكبرت الأشجار.. وجاء الأمين جبريل يعلم النبى الكريم كيف يحول افرع الأشجار الى الواح يصنع منها سفينته المرتقبة وكيف يجعلها مائلة الحواف لكى تسرع فى الماء.

باسم الله مجريها ومرساها آية للعالمين..

مائة عام.. واشجار نوح تكبر وتكبر.. ثم بدأ صناعة السفينة.. انه ينشر الأخشاب فى الواح.. ويدق فيها الدوسر أى المسامير.. ثم يغطيها بالقار الأسود وقد انفجرت بالقرب منه بؤرة له وجعل لها حافة تشق الماء.

القوم يسخرون ويحاولون منع النبى نوح من اتمام عمله وامرأة نوح وابنه كنعان انضموا الى الساخرين.. لكنه لم يتراجع عن امر ربه.. حاولوا بكل السبل افشال مشروعه.. لكنهم فى الوقت ذاته كانوا فى شوق لرؤية هذا البناء المدهش وكيف يمكن لها بعد ذلك ان تسير فى أرض بلا بحر.. ارتفعت السفينة إلى ثلاث طبقات السفلى للدواب والوحوش.. والوسطى للناس وكان عددهم يقرب من الثمانين أى أربعين رجلاً وزوجاتهم.. والطابق العلوى للطيور.

وكانت الأوامر قد صدرت الى نوح من ربه :

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ

عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿[المؤمنون : 27].

كانت لحظة الصفر.. ان يخرج الماء من التنور أى الفرن وسبحان من يخرج الماء من النار.. وقبلها ظلت الأمطار تهطل بلا انقطاع.. والماء يرتفع حتى يبلغ الجبال.. بل وعم الأرض طولها وعرضها سهلها وحزنها ولم يبق على وجه الأرض من كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير الا من ركب السفينة واعتصم بها.

وكان نوح عليه السلام يتطلع الى زوجته وابنه وهما يغرقان مع الغارقين وقد أمره ربه الا يخاطبه فيهما وامثل صاغرا.. وكان الحمار آخر من ركب السفينة.. ونجح ابليس اللعين ان يتعلق بذيله.. وان يدخلها مع الداخلين؟!

- 14 -

وذهب الغراب ولم يعد!

رست سفينة نبي الله نوح عند جبل الجودي بالعراق.. وسكن الماء.. وانسدت ينابيعه في آية عظمى من آيات الله القادر الجبار وفتح نوح كوة الفلك واطل ينظر الاحوال وارسل الغراب ليكتشف أمر الماء فلم يعد... فأرسل الحمامة وعادت وكان الماء ما يزال يحيط بالمكان كله وبعد ايام ارسلها مرة أخرى فرجعت وفي فمها ورقة زيتون فعلم نوح ان الماء قد قل.. وان الارض قد ظهرت.. ﴿قِيلَ يَنْوُحُ أَهَيْطَ بِسَلْمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّنْ مَّعْلَكٍ وَأُمُّهُمْ سَمِيَئَةٌ هَمَزٌ يَمْسُهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود : 48].

وخرج النبي الكريم نوح من السفينة هو ومن معه من الدواب والطيور لكي يعمر الأرض وعهد اليه الله الا يعيد الطوفان على أهل الأرض وجعل تذكارات الميثاق اليه القوس الذى فى الغمام وهو قوس قزح فهو دليل الأمان من الغرق.. وهو الذى يقال عنه «قوس بلا وتر».

وقد انتشر أبناء نوح في أرجاء الأرض.. اولاد ابنه سام هم العرب وفارس والروم وابنه الثاني يافت : هم الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج والوالد الثالث حام واولاده القبط والسودان والبربر رقد حاول هود ان يشرح لهم أمر ما جرى مع أهل نوح.. لكنهم اعرضوا واستهزأوا وانكروا وصدوا وكابروا وسواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين.. هكذا قالوا لـ «هود».

وبدأت آيات الغضب الالهي تتجلى على قوم هود فأمسك الله عليهم المطر ثلاث سنين حتى أصابهم الجفاف وبعدها ساق الله اليهم سحابة سوداء حتى تخرج عليهم من واد يقال له المغيث.. استبشروا بها.. لكنها كانت ريح العذاب الاليم.. تدمر كل شيء بأمر ربها.

وكانت امرأة من أهل عاد يقال لها «مهد» اول من استشعرت بأمر الريح الغاضبة.. فصعقتها.. ثم أفافت وقالوا لها : ما رأيت يا مهد؟

قالت : رأيت ريحا فيها شبه النار أمامها رجال يقودونها ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَنِعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَّةَ آيَاتٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة : 7].

واعترل هود ومن آمن معه في بيت.. في مأمن من الريح العاصف التي لم تدع من عاد أحدا الا هلك حتى أصبحوا مثل أعجاز النخيل التي فقدت رؤسها.... كانت الريح تحمل احدهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فيبقى جثة بلا رأس.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿[الشعراء : 139-140].

- 15 -

لماذا لا نعبد الاصنام!

لاحظ ان اخيه لا يسجد لاصنامهم الثلاثة : صد وطمود وهباء أوهرا.. فاقرب منه ينهره :

مالك.. تنظر الى آلهتنا نظرة استخفاف.. هل لك من آلهة غيرها؟
قال له : آراها لاتسمع فكيف تسمع نجوايا ودعوتي .. ولا ترى.. فكيف تنظر
الى أمرى.. وهى لا تتكلم ولا تتحرك.

سأله مندهشا : من قال لك هذا؟

اجابه : انه نبي الله هود بن سام بن نوح.

ووقف الرجل يصيح غاضبا :

يا قوم عاد.. ياسكان الأحقاف وأصحاب الخيام ذوات الأعمدة أو العماد..
احذروا من يشكك في آلهتكم ويدعوكم مع هود الى ربه الذى لم نعرفه وفي ليليتها
اجتمع حشد كبير من قوم عاد يتدبرون أمرهم ويعلنون التحدى للنبي هود ومن
اعلن اتباعه اتهموه بالجنون.

وقال أحدهم : انها لعنة الآلهة قد اصابنا هودا.. انه يتحدث بلا دليل.. لقد فقد
عقله وغاب عن رشده.

حاول هود بكل سبل ان يقنعهم بانه رسول ربه.. وقد ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حديثه الذى رواه ابى هريرة رضى الله عنه : اولاد سام الخير فيهم
واولاد يافت لا خير فيهم اما اولاد حام وهم القبط والبربر والسودان فقد سكت
عنهم.

وتتجه الابصار الى قرية ثمانين التى بناها نوح بعد ان نزل من السفينة.. ويقال
انها سميت بهذا الاسم لان السفينة كانت تحمل 80 رجلا وامرأة مع نبي الله.. وقد
عرفت ألسنتهم 80 لغة.. منها اللغة العربية ولاغرابية في ذلك وابناء نوح يمثلون
كافة ابناء الأرض في عصرنا هذا على اختلافهم ديناً وعرقاً ولغة... ونتحول الى
مشهد الختام ونبي الله في لحظاته الأخيرة بعد حياة حافلة استمرت الف سنة الا
خمسین عاما كما ذكر القرآن الكريم انه يوصى ابنه :

- انى قاص عليك الوصية.. وأمرك بأثنتين وأنهاك عن اثنتين أمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا الله إلا الله في كفة رجحت بهن لا الله إلا الله فهي صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر ومع لا الله إلا الله لا تغفل عن قول سبحانه الله وبحمده وبها تكتمل وصية الخير الى ما شاء الله.

- 16 -

جريمة قتل «الناقة» !!

ارادوا السخرية من نبي الله «صالح» وهو يدعوهم الى ترك اصنامهم وعبادة الله الواحد الأحد.. وقرر أهل ثمود اختبار هذا النبي وقد اجتمعوا في ناديتهم برئاسة قدار بن سالف بن جندع.. وفي حضور حاشيته.. واثاروا الى صخرة وطلبوا من صالح ان يخرج لهم منها «ناقة» بمواصفات معينة وان تكون عشاء طويلة.

وقال صالح : أرايتم ان اجبتكم الى ما سألتكم على الوجه الذى طلبتم تؤمنون بما جئكم به وتصدقوني فيما ارسلت به؟

قالوا : نعم.. وأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك.

وانصرف صالح الى مصلاه ودعا ربه ان يجيبهم الى ما طلبوا وأمر الله الصخرة ان تنفطر عن ناقة عظيمة عشاء كما وصفوها تماما.. وآمن بعضهم وظل البعض الآخر علي كفره وضلاله ولما رأى كبيرهم «قدار» ان بلاده قد انقسمت على نفسها.. وكان يخشى على ملكه وثروته وموقعه.. اجتمع مع عصابته لبحث الأمر. كانت الناقة تشرب يوما.. ويشرب القوم من لبنها في اليوم التالى أجمعين وبما فيه الكفاية.

قال قدار : يجب ان نعقر هذه الناقة وليس أمامنا من سبيل الا تدبير الأمر.

نهضت امرأة تسمى «صدوق» ابنة المحيا بن زهير واراقت أن تنتقم من زوجها

الذي اشهر اسلامه وقررت أن تشارك في المؤامرة وبدأت تتودد الى ابن عمها «مصرع» وتعرض عليه نفسها ان هو شارك في عقرب الناقة.. وغارت منها امرأة أخرى رأت انها ليست باقل من «صدوق» وهي «عنيذ» بن مجلز وكانت عجوزا لها أربع بنات وعرضت على قدار أن يتخذ له واحدة منهن هدية له.. وسرعان ما استجاب سبعة غيرهم ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: 48]، وانطلقوا لتنفيذ الخطة ولما عادت الناقة من سقيها كمن لها مصرع فرماها بسهم وخرجت النسوة تهلل وتشجع واسرع قدار الى الناقة بسيفه فخرت ساقطة على الأرض ولما طعنها في بطنها ظهر صغيرها الذي كان في احشائها واقاموا حفل انتصارهم المزعوم ظنا منهم أن دين الله الذي جاء به نبينهم قد طويت صفحته الى غير رجعة ولكنه طلب منهم الانتظار لثلاثة أيام لاغير لكنهم حاولوا قتلة... في اليوم الأول للمهلة اصفرت وجوههم... وفي الثاني احمرت... ولما جاء الثالث اسودت.. وظنوا ان الأجل قد انتهى.. ولما اشرقت الشمس بعد ذلك في صبيحة اليوم الرابع جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة في اسفلهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس وسكنت الحركات وخشعت الاصوات واصبحوا في ديارهم جاثمين.. وحاول أحدهم أن يحتمى بحرم الله وظن انه من الناجين فلما خرج أصابه ما اصاب قومه وكان معه غصن من ذهب.. وعندما مر النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع صحابته على قبره حكى لهم حكاية ابي رغال وحفروا واخرجوا الغصن الذهبي.

وخرج صالح مع قومه من المؤمنين.. وقد تحول قومه من الكافرين الى آية قائمة الى يوم الدين.

- 17 -

انها اختي!!

كان الموكب يضم ابراهيم وزوجته سارة وابيه تارخ وابن اخيه لوط وأخيه

ناحور.. واستقر بهم المقام في ارض جبار من الجبابرة.. ويقال انه فرعون مصر.. وكما ستعرف من سياق القصة.

في تلك الأرض اسرع احد الرجال يخبر الفرعون بان رجلا معه امرأة فائقة الجمال.. ولما علم ابراهيم بنية الملك اتفق مع سارة ان تقول بانها اخته.. وابراهيم لم يكذب في حياته الا ثلاث مرات الأولى عندما قال انى «سقيم» اى مريض والثانية عندما حطم الاصنام سألوه عن الفاعل فقال انه كبيرهم هذا.. وكانت الثالثة تخص سارة وطلب الفرعون سارة وذهبت اليه مرغمة فلما دخلت عليه قام اليها فأقبلت تتوضأ وتصلى وتقول :

- اللهم ان كنت تعلم انى آمنت بك وبرسولك واحصنت فرجى الا على زوجى فلا تسلط على الكافر.. واذا بالفرعون المتربص بها وقد ظن ان الصيد الثمين قد وقعت في شباكه وانتهى الأمر.. اذا به يغط في نوم عميق.. ثم استيقظ وارادها فقامت مجددا تتوضأ وتصلى وتسأل الله ان يخلصها من هذا الفخ.

ومرة أخرى يغط الفرعون في نومه.. واصابه الرعب عندما تكرر المشهد معه.. فهى امامه وبين يديه ولا يستطيع الوصول اليها.. وكيف له ان يصل وهى زوجة النبي الكريم رضى الله عنه الذى جعل الله سبحانه النيران الحامية برداً وسلاماً عليه.

وصرخ الفرعون : ابعدوا هذه المرأة عنى.. فما ارسلتم الى الا شيطانا!!

وعادت سارة مثلما ذهبت... وقد رد الله كيد الكافرين وقد عصمها الله.. وهى المرأة البديعة الحسن التى لم ينافسها ويسبقها فى الجمال الا أمنا حواء.

بل انها رجعت ومعها خادمتها «هاجر» التى ارتبط بها الخليل ابراهيم وأخذها الى الأرض المباركة عند الكعبة ثم ما جرى مع ابنها اسماعيل الذبيح وقصة بئر زمزم وما بعدها.

ولما رجع الخليل من مصر.. الى الأرض المقدسة في الشام واستقر «لوط» في ارض الغور بمدينة «سدوم» وهى أم البلاد في ذلك الزمان.

واوصى الله تعالى الى ابراهيم الخليل ان يمد بصره وينظر شمالا وجنوبا وشرقا وغربا وبشره بان هذه الارض كلها ستكون له ولخلفه من بعده الى ابدى الدهر وان ذريته ستكون بعدد تراب الأرض وكيف لا وهو ابو الأنبياء الذى رفع أعمدة البيت المعمور.. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الانبياء : 51].

- 18 -

نجوم الفاحشة!

يجب أن أهدى هذه القصة الى كل من يقدم مشاهد الشذوذ في افلامه ومسلسلاته ويعتبرها حرية شخصية ومسألة موجودة في المجتمع يجب ان نطرحها للتداول.. وهو بذلك يريد أن يخرجها من دائرة الشذوذ والاستثناء الى الاشاعة والعموم.. لنشر هذا الفعل اللعين.. الذى ارتبط بقوم «لوط» النبی الكريم عليه السلام.. وهم أول من ابتدع هذا الأمر المكروه من رب السموات والأرض والمحرم في كافة الديانات لكنها سياسة هؤلاء الذين يقدمون الفن باموال المخدرات والسلاح والدعارة ولا بد أن تكون بضاعتهم فاسدة مثل افلامهم ومسلسلاتهم وقد ساهمت في نشر هذا الانحلال الذى نراه من حولنا ومن امامنا ومن خلفنا والقرآن الكريم يقول في ذلك ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن يُمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ [النساء : 27] وحتى نعرف أن جريمة اللواط مرتبطة بجرائم أخرى مثل الخيانة وقطع الطريق وممارسة كل ما هو منكر من القول والفعل.. لانه بلغ ذروة الحرام فماذا يمنعه عن غيرها من المحرمات.. وكل من يدعى انه يقدم الشذوذ في عمله الفنى الأغبر لمعالجته هو كاذب ومحتال ويجب أن نعرف ان المهرجانات التى تقام في أوروبا وأمريكا.. تهتم بهذه النوعية وتعطيها الجوائز لكى تنشرها.. وهى لم تعالج بل فتحت الأعين على هذا الأمر

وجعلت الشواذ يتجرأون لأن هناك من يدافع عنهم وينصرهم.. ولهم مقاهى تجمعهم وعلامات تميزهم.. وقد طالبوا منذ فترة بالخروج في مظاهرات على غرار ما نرى في بلاد الغرب.. وايضا لهم مواقع وقد ساهمت وسائل الاتصال الالكترونية في التواصل بين هذه الفئة وبعضها البعض.. وبدلاً من ان يتوارى هؤلاء خجلاً.. يظهرون ويتكلمون وكأنهم اصحاب حقوق في اجرامهم وسفالتهم.. في تبجح ووقاحة.. مثل التى تظهر شبه عارية في الصحف والمجلات أو على الشاشة وتقول: لست ممثلة اغراء؟!.. في ضلال وتضليل.. لكن الحمد لله ان الناس بدأت تعرف هؤلاء وترفض أعمالهم وتتجاهلها.. وقد قدمت دور العرض فيلما يقوم كله على اللواط.. ولم ينتبه اليه أحد ولو ان الرقابة منعتة لقدموا له دعاية مجانية للفيلم وأصحابه... ونعود إلى قصص القرآن الكريم.

* وعندما اراد قوم لوط الاعتداء على ضيوف النبی وهم من الملائكة.. بعد ان أخبرتهم زوجته بذلك.. جاء انتقام المولى سبحانه وتعالى وجعل عاليها اسفلها وأمطرهم بحجارة من سجيل.. وظلت ذكراهم حاضرة حتى وقتنا هذا عند البحر الميت وهو البحر الوحيد الذى لا تعيش فيه كائنات حية من الأسماك وغيرها.. وكل فنان يرحب بهذه الادوار هو مجرم في حق دينه وحق الناس.. ويحق أن نطلق عليه «نجم الفاحشة»!

- 19 -

عبده الأشجار!!

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ﴾

ورغم فصاحة شعيب عليه السلام وبلاغته في الحوار وقدرته على الاقناع.. الا أنه لم يفلح مع قومه وقد انكر عليهم ان يعبدوا الاشجار والنباتات وخاصة «الأيكة» اى الشجرة كثيفة الأفرع العتيقة.. وسألهم في حوار: واذا كنتم تعبدون الشجرة ألم تسألوا أنفسكم ومن الذى انبت هذه الشجرة واخرجها من باطن الأرض انه الله الذى رفع عليكم السماء بلا عمد ومهد لكم الأرض.

كان شعيب يرى هؤلاء القوم في «مدين» القرية التي فر إليها موسى عليه السلام وتزوج من إحدى بناتها وهي تبعد مسافة بسيطة عن البحر الميت الدليل الحى على ما جرى لقوم لوط وقد حاول ان يذكرهم بذلك لكن قلوبهم أصابها العمى.. فقد كانوا فوق ضلالهم في عبادة الشجرة يسرقون في الكيل والميزان.. يأخذونه بالزائد ويدفعونه بالناقص.

والدين بذلك لا يقتصر على العبادات.. انه اسلوب حياة.. وهل يمكن لمن يغش في البيع والشراء أن يكون مخلصا في عبادة الله؟

كم سخرؤا من شعيب واستخفوا بتحذيره من ان غضب «الله» يمكن ان يحل بهم كما حل على الذين من قبلهم وآياته ليست ببعيدة عنهم.. ولم يكن منهم الا أن أعلنوا التحدى وخيروا شعيبا بين ان يترك دعوته أو يترك قريته ويخرج منها بلا عودة.

ولجأ النبي العربى الكريم الى ربه.. حيث لم يدخل دعوته سوى الفقراء.. وهم في دائرة التهديد وانتظر الأمر الالهى!!

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

ورغم أن قومه ناصبوه العداء صراحة وطالبوه بان يترك اتباعه وينجوا بنفسه وهو ما رفضه النبي رفضا قاطعا لكنه سأل ربه أن يهدى قومه :

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ كان شعيب نبيا يفيض قلبه بالحب والخير حتى مع أهله الغلاظ الكفرة.

وسرعان ما جاء الرد الالهى العظيم إلى أصحاب الأيكة فقد أصابهم الحر الشديد لمدة سبعة أيام.. ثم كانت الرجفة الشديدة أو الزلزال ثم الصيحة العظيمة.. ثم تطايرت السنة اللهب من كل جانب.. فاذا اجتمعوا تحت سحابة لم يفلتوا من عذاب ربهم وكان شعيب عليه السلام قبلها قد خرج مع المؤمنين وقد

علم ان عذاب الله واقع لا محالة لكل من كفر وطغى وبغى وأفسد حياة الناس بالغش والاحتيال.

-20-

شجرة ابراهيم

هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم أحد أعضاء سلسال النبوة الجد ابراهيم والاب اسحاق والحفيد يعقوب.. وابن الحفيد يوسف.. ارتبط بميلاد أغلبهم ببشرى سماوية.. كانت سارة ام اسحاق عليه السلام قد بلغت التسعين وسلمت امرها لله انها لن ترزق الولد.. ولكن ارادة المولى سبحانه شاءت أن تعطئها بعد ان حرمتها سابقا وعندها تزوج نبي الله ابراهيم عليه السلام بالمصرية «هاجر» ام ولده اسماعيل.. لكن القادر العليم الحكيم الرزاق الذى يقول للشئ كن فيكون اراد لشجرة ابراهيم ان تتعدد أفرعها والا تكون قاصرة على اسماعيل عليه السلام فقط.. حتى ان كان نبي الله ابراهيم قد بلغ من العمر ما يزيد على المائة عام.. بعشرين سنة.

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ ۚ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَأَىٰ إِلَىٰ آلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۚ [الذاريات] ﴾

كان ابراهيم يشفق على سارة التى عاشت معه حياته بحلوها ومرها وتحملت الكثير وكم من مرة سأل ربه فى صلواته ان ينعم على سارة بالولد اكراما لما فعلته.. وتحقق الأمر الالهى وان تأخر.. وجاء اسحاق.. وشب يحمل رسالة الدعوة الى عبادة الله فى ارض كنعان بفلسطين.. ولما حان وقت زواجه نصحه ابيه ابراهيم بالا يخرج عن بنات العائلة.. وامثل للأمر وتزوج من ابنة عمه «رفقه» وكانت عاقرا وهكذا كان يقال.. لكن الله الذى رزق ابيه بعد طول انتظار لقادر على ان يرزقه فى أى وقت يشاء.. وهذا ما جرى فقد ولدت «رفقه» ولديها العيص أو عيسو..

ويعقوب... ويروى اليهود الاكاذيب حول اسحاق عندما بلغ به الكبر وكف بصره.. وكان يحب ولده يعقوب اكثر من العيص الذي كان شقيا.. ويقولون ان الاب اشتاق الى أكل السمك فما كان من امه الا ان همست الى العيص باحضاره الى ابيه لكي ينال بركة الدعاء منه ونجحت الحيلة..؟!.. فهل يعقل للكريم اسحاق ابن الاكارم وان فقد بصره.. ان تغيب عنه البصيره.. ثم ان القرآن الكريم لم يتحدث عنه.. بل اصطفى يعقوب (اسرائيل) الذي جاء يوسف عليه السلام من صلبه.

وعندما مات اسحاق تم دفنه في المغارة التي يرقد فيها ابيه ابراهيم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: 27].

- 21 -

درس في الحب

استقر في ذهن غالبية الشباب ان الحب هو ولد وبنت على الكورنيس او في مكان خاص.. يحلقان معا في سماء مصنوعة من كلمات الأغاني الفارغة.. والحب هو اساس الحياة وعنوانها.. ومن لا يحب ربه ودينه ونبيه صلى الله عليه وسلم.. لا يمكن بحال ان يحب أهله ووطنه وكل شيء حوله.. وهذه قصة نبي من انبياء الله تجسد لنا مفهوما رفيع المستوى في معنى الحب وروعه.. في موقف تتجلى فيه أبجديات الحب بين الحبيب والمحبيب.. فهل سمعت عن «ايوب» الذي ارتبط اسمه بالصبر في المواويل..؟ اسمع يا سيدى :

*** هو ايوب بن العيص بن اسحاق وامراته هي «ليا» وفي الفلكلور الشعبي «ناعسة» ربما لانها شديدة الجمال وفجأة تحولت النعم التي يعيشها من اموال وانعام وعبيد الى محنة كبرى.. حيث حاصره المرض من كل جانب.. واصابته العلة في شتى انحاء جسده.. حتى لم يبق له سوى قلبه ولسانه.. وبذله الناس.. خوفا من انتقال العدوى اليه وقد حوله المرض الى حطام يصيب الذعر والهلع..

وتكالبوا عليه وقرروا طرده من البلدة.. ونزلت امراته الى العمل تخدم في البيوت بعد ان كانت سيدة القصر وحولها الخدم على اشكالهم واعمارهم.

محبة «ليا» أو ناعسة أو رحمة.. بلغت ذروتها وهى تحرس ايوب.. وتطعمه وتسقيه وتعينه على قضاء حاجته.. وتؤنس وحدته بعد أن تخلى عنه الجميع وكان يشفق عليها ويرجوها ان تتركه لحاله وتنقذ نفسها من هذه المحنة وان تفك ارتباطها به فهى شابة جميلة وهناك من يتمنى ودها ويهمس اليها طالبا قلبها ويؤكد لها ان مرض ايوب لا شفاء منه.. ولما اغلقوا كل الأبواب فى وجهها لتعمل وتجد القوت لها ولمريضها الصبور.. باعت ضفائرها واحدة بعد أخرى.. ولكنها سمعت ايوب يناجى ربه شاكرا :

- يا الله لك الحمد والشكر ان منحتنى الصحة والعافية 70 عاما.. ولك الحمد ان منحتنى القدرة والصبر على مرضى ولو استمر مثل ما انقضى من عمرى .

- يارب يقولون بان هذا الابتلاء وقع لغضبك منى وعلى.. وانت تعلم انى اطعتك فى السراء كما اطيعك فى الضراء.. وها أنا اعيش مع مرضى ولا اعترض.

وكانت امراته تراقبه وتدهش لقوة ايمانه وتسأل الله ان يمن عليه بالشفاء لكى تخذل أهل البغضاء من حولها.

وجاء الوحي الالهي.. بعد نجاح ايوب فى امتحانه :

- اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب وبدأ يأخذ من الماء ويغتسل ومواضع المرض تذهب.. والشفاء يقترب.. والصحة تعود اليه اقوى مما كانت حتى ان زوجته لم تعرفه وبدأت تسأل من حوله : اين ذهب هذا المبتلى الذى كان هاهنا.. لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب.

فابتسم لها ايوب ويحك أنه أنا واكتملت أسطر قصة الحب العظيم وكأنها

تكتب من جديد بماء الاخلاص.

-22-

قتيل البقرة

من القاتل؟

هكذا دار السؤال بين بنى اسرائيل وقد استيقظوا على مقتل احد اثرياهم.. ولما تعبوا من البحث عن القاتل لكل يتم عقابه.. فكروا في اللجوء الى موسى لاجراجه والاستهزاء بدعوته فقد اخبرهم مراراً وتكراراً انه يدعوهم الى عبادة الرب الواحد الأحد الفرد الصمد.. وجاءت الفرصة لهم وذهبوا الى موسى يطلبون منه المساعدة في معرفة القاتل أو في ذلك فليسأل ربه.. وكان قولهم هذا من باب السخرية ليس الا.. لكن موسى عليه السلام اتجه الى ربه بالفعل وسأله: وكان الجواب دع القوم يذبحون بقرة؟.. وبنفس المكر والمراوغة.. طلبوا من موسى ان يسهل عليهم المأمورية وان يحدد مواصفات البقرة.. لان البقر تشابه عليهم.

وجاء الرد الالهي على لسان موسى كلیم الله: هي بقرة صفراء فاقع لونها شديدة الاصفرار.. لا شيء فيها غير اللون الاصفر.. وهي لاتسقى زرعاً ولا تحرث ارضاً وهي متوسطة لا بالكبيرة أو الصغيرة.

سألوا عدة مرات وكانت الاجابة تأتي قاطعة واضحة وعثروا عليها عند يتيم واشتروها وذبحوها.. ليس امتثالاً للأمر.. وانما رغبة في قطع السبيل على موسى والاستهزاء بدعوته والنيل منها.

ولما تم الذبح أخذ موسى لسان البقرة.. وضرب به المقتول.. فاذا به بإذن الله يبعث من موته.. ويشير الى قاتله ثم يرتد ميتاً كما كان.

تلك هي الآية التي اراد بها الله ان يرد كيد الماكين من بنى اسرائيل.. وان يعزز رسالة نبيه ودعوته.. فهل انتهى الجدال الى هذا الحد؟

وهل عاد بنو اسرائيل الى رشدهم؟

وهل آمنوا برب هذا الكون الذى يميت ويحيى وهو على كل شئ قدير.. والذى يقول للشئ كن فيكون... كلا.. انهم فى طغيانهم وضلالتهم مستمرون ولانهم ارباب الخداع وسوء النوايا والخبث.. استمروا هكذا يتوارثون العادات الذميمة والاخلاق الوضيعة لا كلمة لهم.

لا يحفظون عهداً

ولا يلتزمون ميثاقا

اتهموا موسى بالسحر.. وخذلهم الله وآمن به السحرة.. قاس منهم الأمرين وعانى العناء العظيم.. ورفضوا القتال من اجل عقيدة التوحيد ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعُودُونَ﴾.

ومات موسى فى التيه قبل ان يدخل بنو اسرائيل الأرض التى كتب الله عليهم دخولها!

- 23 -

وتوارى الى الظل

خرج خائفا من مصر.. لايدرى الى اين تأخذه قدميه.. فقط يأكل من عشب البقل وورق الشجر.. كان يتلفت حوله لعل هناك من يتبعه بعد أن قتل القبطى دون قصد.. فقط اراد أن يبعده وهو يشتبك مع أحد رجال بنى إسرائيل.. وازداد خوف موسى.. لان الخبر قد بلغ فرعون.. وعرف بذلك من أحد المؤمنين وقد جاء من أقصى المدينة يسعى ورفع موسى كفه الى السماء داعيا ربه وهو الوحيد فى البرية:

- ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

كانت هذه هى رحلة موسى الأولى خارج مصر.. وسلم أمره الله.. ومن توكل

على الله فلا يضل ولا يشقى.. وبعد أيام قد بلغ «مدين».. انها المدينة التي أهلك الله فيها أصحاب «الأيكة» وهم قوم شعيب.

في مدخل المدينة حيث يوجد الماء وجد زحاما.. والرعاة.. يأخذون حاجتهم وحاجة اغنامهم.. ولاحظ وجود فتاتين تنتظران.. وكان الرعاة اذا فرغوا من أخذ الماء وضعوا صخرة كبيرة على فوهة البئر.

وسألهما موسى عن مشكلتهما فقالتا انهما لا تستطيعان أخذ الماء.. وقد اضطرتا للحضور لان والدهما كبير السن.. وهما تعتمدان على انفسهما.

ازاح موسى الصخرة وكانت تحتاج الى عدة رجال.. وادلى دلوها وأخذ الماء.. ولم ينتظر من الفتاتين جزاءً ولا شكوراً.. وتوارى إلى الظل تحت شجرة من الأشجار الوارفة ونظر الى السماء وهو في تعبته وخوفه وغربته وقال :

- رب إني لما نزلت الى من خير فقير!!

لحظات قصيرة من الراحة والاستسلام لقدّر الله.. وفجأة ظهرت له إحدى الفتاتين تقترب منه على استحياء.

ودارت برأس موسى علامات استفهام عديدة!!

ولماذا جاءت وحدها.. دون اختها؟

هل جاءت تعطيه أجر السقاية؟

هل جاءت تطلب المزيد من الماء؟

هل فعل شيئاً أغضبها وجاءت تعاتبه.. ولماذا لم يحضر والدها معها؟

اسئلة كثيرة دارت بعقل موسى.. كان يبحث لها عن اجابة.. والفتاة تقف امامه تغطي وجهها في حياء.. وتدعوه لمقابله ايها!!

يادود .. انت القائد

انا الحديد ألين في يده كأنى الصلصال

وأنا الجبل .. وقد سخرنى ربى لأمره

ونحن الطيور.. نسمع كلامه ولا نعصاه ما اراد.. انه صاحب الصوت الساحر.. الصوام القوام.. الذى يصوم يوما ويفطر يوما.. حتى ارتبط هذا النوع من الصيام باسمه دون غيره.. انه صيام «داود».. فهل يمكن لهذا الزاهد العابد أن يتحول في ساحة المعركة الى قائد شجاع يقهر أشد الاعداء بأسا وسلاحاً.. انها المعادلة الصعبة.. التى تحققت على يد صاحب «الزبور» وها هى جيوش «طالوت» تمضى لمحاربة الطاغية «جالوت» وقد تعرضت للامتحان عند النهر.. فقد كانت أوامر طالوت لجنده.. الا تشربوا من النهر.. يكفى فقط ان يتل الفم بقدر ما يمكن ان تغترفه قبضة اليد.. لاتزد على ذلك.

وفشلت الغالبية في الامتحان.. وأصبح الجيش بعد ابعاد هؤلاء قليل العدد.. الى جانب انه ايضا قليل العتاد حيث ان رجال جالوت يمتلكون الدروع والرماح والعدد وكم من مرة سأل طالوت نفسه : هل يمكن لهذا الراعى الصغير «داود» ان يقهر الجبار «جالوت» وهو لا يمتلك سوى قلبه العابد وعصاه ومقلعه وعدد اصابع من حجاره يمكنه ان يرمى بها الى عدوه عن طريق نبلة أو مقلعه يهمس طالوت الى «داود» : ان نجحت في مهمتك العسيرة شبه المستحيلة عيتك قائدا للجيش وزوجتك ابنتى فهل انت قادر على ذلك؟

يقول الواثق بربه المعتصم بحبله : سبحانه الذى يعز من يشاء ويذل من يشاء ويعطى من يشاء ويمنع عن من يشاء وكان «جالوت» على الجانب الآخر.. ينظر الى خصمه الضعيف ساخرا مستخفا به.. ولما بدأ النزال.. أخذ داود حجراً ورمى به عدوه واصابه في مقتل.. وتحقق النصر المستحيل وسبحت الجبال والطيور بحمد

ربها.

وجرت مراسم التتويج لداود.. صانع الدروع بقلبه الخشوع.

وكان داود يحكى لابنه سليمان حكايته.. ويعلمه من فيض علم الله.. فتعلم هو الآخر منطق الطير.. ودانت له الريح.. يطلق فوقها بساطه.. يحمل رجاله الى حيث يرغبون.

ووضع سليمان من فيض حكمته أهم مناهج القانون بالا تحكم في قضية قبل ان تستمع الى كافة اطرافها.. والى شهود النفي والاثبات.. حتى ان سليمان في ذلك تفوق على ابيه «داود» فاذا نزلت الأغنام الى الحقل واكلت ما فيه حكم لصاحب الحقل أن يأخذ الأغنام لمدة عام.. وان ينزل صاحب الاغنام الى الحقل يعيد زراعته.. في حكم يكشف راحة العقل والاتزان.. وسبحان من أعطى الحكم والعلم والسلطان.

- 25 -

في الظلمات بيتي

كان لابد من القاء احد ركاب السفينة الى البحر.. لانقاذ باقى ركبها.. واجريت القرعة ثلاث مرات.. وفي كل واحدة كانت تشير إلى يونس بن متى.. ولم يكن امامه الا الامثال للأمر.. والقوا به الى البحر.. وكأن هذا الحوت في انتظاره.. لانه سرعان ما ابتلعه.. واستقر نبي الله المبعوث الى أهل نينوى بالعراق في بطن الحوت.. يستعرض في الظلمات.. كيف دعى أهل هذه القرية الى الايمان بالله لكنهم اعرضوا وكانوا من الكافرين.. وأمهلهم ثلاثة ايام يأتي بعدها عذاب ربه فلا يبقى ولا يذر.. ثم قرر الانصراف عنهم وانهاء مهمته قبل أن تأتي اليه اوامر السماء بذلك.

وادرِك يونس في بطن الحوت.. انه عقاب ربه.. ولما بلغ به التعب مبلغه وأدرك أنه هالك لا محالة سأل ربه ومولاه أن يشملہ بوافر رحمته التي وسعت كل شيء وكان له الدعاء الشهير : لا إله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين.

وكما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم.. كان جوف الحوت قصراً آمناً للنبي يونس بن متى.. ولفظه على الشاطئ عارياً ولانها أوامر من يقول للشئ كن فيكون.. احاطت أوراق وثمار القرع تغطي عرى يونس.. وجوعه.. وهى الأوراق الناعمة التى لا يقربها الذباب كما ان ثماره يمكن ان تؤكل كما هى بدون طبخها وفى اى وقت.

واسترد يونس عافيته واستوعب الدرس جيداً.. الا يتخلى عن مهمته الا اذا صدرت اليه الأوامر العليا.. حتى وان كان بين البشر من الانبياء.

انهم يجوعون ..

وينكسرون

وتنفطر قلوبهم حزناً وألماً.. لفرق أحبة أو اوطان ويعانون الاضطهاد والتعذيب.. وتحاصرهم الاتهامات لكن نصر الله يأتى ولو بعد حين.

استوعب يونس جيداً الدرس الآلهى.. وكم من مرة سأل نفسه :

هل يمكن لعقل أن يتصور ما جرى له.. بان يتحول الى ودیعة فى بطن الحوت.. فى جوف البحر.. ثم تكتب له النجاة فى بقعة بعينها عند اشجار القرع.. حيث تستر العورة.. ويتغطى الجسد.. ويذهب الخوف والجوع.

فالحمد لله ما أعطى.. والحمد لله على ما أخذ وسبحان من بيده ملكوت كل شئء وهو القاهر فوق عباده.

-26-

وكالة انباء الهدد

يلاعب خيله ويعتنى بها.. ويكلم الطير.. ويأمر الجن فلا يرفض له كلمة.. حتى اذا اصابه المرض الشديد.. ولزم فراشه كانت الطيور تحلق ثم تأتى من اطراف الارض بالأعشاب النادرة.. حتى كتب له الله الشفاء واتمه عليه..

وفي طابور من طوابير التمام اكتشف غياب الهدهد.. وسأل عنه وقرر أن يعاقبه للغياب بدون إذن.. لكن الهدهد كان في مهمة صحفية وإعلامية من نوع خاص حيث اكتشف في سبأ مملكة عظيمة تحكمها إمراة.. ولها عرش مرصع بالجواهر يبهل العين ويسر القلب.. وقومها يعبدون الشمس.

وبعد أن قدم الهدهد تقريره المفصل.. أراد نبي الله سليمان عليه السلام أن يكتشف ما هو أبعد من أنباء وكالة الهدهد فأعطاه كتابا إلى الملكة التي قررت على الفور أن تستعرض الأمر مع كبار مستشاريها.. وكان الخطاب يدعوهم للدخول في عبادة الله وترك عبادة الشمس وأعلن المستشارون رفضهم لهذا العرض السلیمانی لكن «بلقيس» كانت تفكر بطريقة أخرى.. فقررت أن ترسل إلى سليمان بالهدايا ليرى مبعوثها مملكته ويستكشف قوته على الطبيعة ورأى رسول بلقيس أن جيش سليمان فيه العجب كله ومن بين جنوده الأسود والنمور والطيور.. ورفض الهدية وأعطاهم وقومها مهلة للدخول في الدين.. وهنا غيرت بلقيس استراتيجية التعامل وأعلنت عن زيارة مرتقبة لها إلى سليمان وهو بالتالي أعاد ترتيب أمره.. وطلب من جنوده إحضار عرشها الرهيب.. قال عفريت من الجن: أنا أحضره اليك.. لكن الذي عنده علم الكتب كان عرضه أفضل فهو سيحضر العرش قبل أن يرمش سليمان بعينه.. إنها الحرب العقلانية غير المعلنة.. وبنى سليمان قصرا فوق الماء أرضه من زجاج شفاف.. وأجرى بعض التعديلات على العرش المرصع بالجواهر.. ومن يتباهى بقوته لن تقدر عليه إلا إذا رأى منك قوة أكبر.. حتى إذا جاءت واستعرضت حرس الشرف ودخلت القصر ونظرت إلى عرشه قالت كأنه هو وانبهرت بملك سليمان ورفعت ثوبها خوفا عليه من البلبل وهي تمضي فوق الزجاج والماء من تحتها يجرى بكل ما في البحر من كنوز.

قدرات سليمان وقوة حضارته.. أكدت لها أن هذا الرجل يستند إلى ما هو أقوى من تلك الشمس التي تعبدوها هي وقومها.. وعلى الفور أعلنت إيمانها بالله الذي لا إله إلا هو.. مالك الملك.. يؤتي حكمته وعلمه وقوته ومفاتيح أسرار له لمن يشاء وبنى

سليمان الهيكل الذي أسسه يعقوب واعاد بناء المسجد الأقصى .. وقد مات متكاً على عصاه ولم يعرف الجن بأمر وفاته... والمعنى أن هناك من امر الموت والحياة ما هو اكبر من معرفة وقدرات الأنس والجن فقد ظنوا أنه في سبات ونوم حتى أكل النمل ساق العصا وهوى جسد سليمان ارضاً.. والله الأمر من قبل ومن بعد.

- 27 -

حكاية « ذا الكفل »

هذا رجل ليس في سجله نقطة بيضاء.. فقد كان سباقاً الى فعل الفواحش.. والمحرمات.. كأنه في سباق مع شيطانه ينافسه في الشر والانحطاط.

تقول بطاقته انه من بنى اسرائيل.. وقد تواعد مع امرأة.. في خلوة.. مستغلاً في ذلك حاجتها الى المال.. وقد أعد العدة لهذا الصيد.. والمرأة صعبة المنال تلهب خيال الرجل الصياد.. وقد تعود أنه بما يملك من المال والوجاهة لا تستعصى عليه مهما كانت.. وفي الموعد المحدد جاءت المسكينة والخجل يقتلها.. ولكن حاجتها الى المال.. كسرت ما عندها من كبرياء وعفاف واستقبلها الرجل بفرحة المنتصر الذي يعرف دائماً وابدأ كيف تسقط فريسته بين يديه.

وقبل ان يدق الشيطان اجراسه وتبدأ احداث اللقاء المحرم المرتقب.. وبعد ان كشفت المرأة عن نفسها.. اذا بروحها الطيبة التقية تعلن المقاومة وترفع لواء الفضيلة فاذا بالجسد يرتعش والعين تمطر بسيول من الدمع الحار..

وسألها الرجل : ماذا جرى ؟.. الم نتفق على كل شيء ؟

قالت : نعم..

قال : فيما البكاء وسيتم كل ما اردنا وتحصلين على المال وكأن شيئاً لم يكن.. حيث لايرانا أحد.. فهذا البيت ليس فيه غيرى وغيرك.

قالت باكية في نفسها : ولكن السميع العليم البصير القوى الجبار لا تخفى عليه

خافية.

واستجمعت ما تبقى لديها من ارادة وقالت للرجل :

- يا سيدى أنا لم أفعل هذا الأمر من قبل فهل تفك قيدي من هذا الاتفاق..
والله الغنى سوف يغنينى عن مالك.

وهنا تراجع الرجل.. وقدم اليها النقود التي وعدها اياها وكانت 60 ديناراً..
قدمها اليها غير منقوصة.. وفقدت اللحظة بريقها عنده وقد ادخلته المرأة الشريفة
الى دائرم الندم فاذا به يبصر ما لم يكن يرى ويجد أن لذة الامتناع عن الحرام تفوق
لذة الاشباع منه.

خرجت المرأة بالمال.. وخرج الشيطان من عقل الرجل وقلبه.. ونظر الى
السماء قائلاً :

والله لا يعصى الكفل ربه بعد هذه الليلة ابداً.. وماهى الا لحظات حتى فارق
الحياة فى نومته التى كانت الأخيرة.

فلما اصبح الناس وجدوا مكتوباً على بابه :

قد غفر الله للكفل!!

انه الرجل الذى تكفل بأمر فوض به وكان ذا الكفل وهذه قصته كما وردت فى
حديث عن النبى صلى عليه وسلم.. وفى احاديث السلف حكايات أخرى وما
يقول محمد صلى الله عليه وسلم هو الأقرب دائماً وابدأً.

-28-

سيدة الوضوء!

سأل الجد حفيده :

- اتدرى من هى المرأة التى كانت شاهدة عيان على وضوء الرسول صلى الله
عليه وسلم النموذجى والذى اوصى به وقال لها :

- من توضأ نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه!
قال الحفيد متسرعاً :

- من المؤكد انها واحدة من أمهات المؤمنين زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم!

ضحك الجد من ذكاء الحفيد لكنه كشف له أمر هذه المرأة واسمها «الربيع بنت معوذ بن عفراء» وقد شهد والدها بيعة العقبة وعاد يتحدث في ذلك مع أخيه «معاذ» وهم من خزرج المدينة.. ولها الفخران والدها «معوذ» هو قاتل «أبي جهل».. وعندما تزوجت الربيع من إياس بن البكير حضر النبي محمد صلى الله عليه وسلم عرسه.. وكان يزورها.. وذات مرة طلب منها ان تسكب له الماء لكي يتوضأ.. وارتبط حديث الوضوء بها.. وقد خرجت في غزوة أحد وكانت تسقى القوم وتداوى الجرحى وشهدت بيعة الرضوان.. ونقل عنها عبدالله بن عباس حديث الوضوء.. كما سألها عنه عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب.

ولما اشتد الخلاف بينها وبين زوجها قالت له :

- اختلع منك بجميع ما أملك

فقال زوجها :

- وأنا قبلت بهذا!!!

وقدمت له كل شيء تملكه الا درعها وقد احتفظت به.. فاشتكى الى عثمان بن عفان وكان أمير المؤمنين وقتها.. فطلب منها الدرع لانه من حق زوجها وفعلت.. وكان أعلى ما لديها حلية ذهبية كانت مهداة اليها من الرسول صلى الله عليه وسلم.. عندما قدمت اليه ذات مرة طبقاً من عنب وآخر من رطب وهو في ضيافتها مع زوجها فقدم لها الحلية وقال لها :

- تحلى بهذا

وكأنه بذلك يقدم لها وساما من باب التقدير والعرفان وقد عاشت الربيع بنت معبود بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد ابن غنم بن مالك الانصارية البخارية وأمها أم يزيد بنت قيس بن زعواء ابن حران بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار أى أنها من قبيلة أم النبی صلى الله عليه وسلم.

- 29 -

الأخوات المؤمنات

جلست أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث تواسي اختها من أمها اسماء بنت عميس وقد احاط بها الحزن وبلغ مداه بعد أن بلغها نبأ مقتل ابنها محمد بن ابي بكر الصديق في مصر.. بعد كان واليا بها.. حتى ان الدم كان يتدفق من ثديها.

قالت ميمونة : يا اسماء.. هل تذكرين دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لك في بيت فاطمة عندما قال اسأل: إلهي ان يحرسك' من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم.

هزت اسماء رأسها وهي تقام دموعها.. واستمرت ميمونة تقول لها :

- يا اختاه.. يا من قيل عنك من اصحاب السفينة وصاحبة الهجرتين.

قالت اسماء بصوت منكسر :

اذكر هذا جيدا.. ولا يغيب عن خاطري ذلك التفاخر الذى دار بين ولدى محمد بن جعفر بن ابي طالب وفقيدى محمد بن ابي بكر الصديق.. الاول ابن خير الشباب والثانى ابن خير الكهول.

قالت ميمونة : وماذا عن زوجك الثالث على بن ابي طالب وولده يحيى.

ردت اسماء :

- شهادتي لا محل لها من الاعراب في حق سيد شباب أهل الجنة.

قال ميمونة : يا اختاه تذكرى فضل ربنا علينا.. وقد شرفنا بالنسب العظيم.. انا بزواجى من النبى محمد صلى الله عليه وسلم.. وبعد ان كنت «بره» اصبحت اسمى ميمونة.. وتزوج حمزة بن عبدالمطلب من اختنا سلمى وتزوج العباس بن عبدالمطلب من اختنا لبابة أم الفضل.

كانت اسماء فى تلك اللحظة تستعرض شريط حياتها.. وكيف فرت بدينها الى بلاد الحبشة مع زوجها جعفر الطيار بن ابي طالب الذى شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بانه يطير فى الجنة مع الملائكة بجناحيه.. ثم زواجها من الصديق ابي بكر الذى لو وضع ايمانه فى كفة وايمان الأمة فى كفة لرجح ايمان ابي بكر.. والثالث ابن الأكرمين على بن ابي طالب وكيف أنها حلت محل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم.. وقد قال عنهن : الأخوات المؤمنات ميمونة وأم الفضل واسماء.

ضحكت ميمونة وقالت : وهل هناك من الفضل اكثر ولا أعظم من هذا يا اسماء.. يامن زوجك النبى صلى الله عليه وسلم برفيق عمره فى حنين فلا تقولى هجرا ولا تضربى صدرأ.. ولا نقول الا ما علمنا الرسول الكريم «إنا لله وإنا اليه راجعون».

- 30 -

بلبل القرآن

اجتمع أهل البصرة ينتظرون ماذا سيقول لهم الامير الجديد عليهم المبعوث من عند عمر بن الخطاب أمير المؤمنين.. كان الغالب منهم لا يعرف عنه الا القليل.. وما هى الا لحظات حتى اطل الوالى خطيبا فقال :

- إن أمير المؤمنين بعثنى اليكم أعلمكم كتاب ربكم وسنة نبيكم وانظف لكم طرقكم!

ونظر الناس الى بعضهم البعض من فرط الدهشة والعجب لما جاء على لسان الأمير الذي يبشرهم بأن يكون كناسا للطرقات هو وليهم.

بحثوا عنه وتداولوا ما عرفوا عنه :

- انه عبد الله بن قيس المكنى بـ «ابى موسى الاشعري» هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن الأشعر وأمه طيبة بنت وهب من عك «عكا» وكانت قد اسلمت وماتت المدينة.

جاء من أرض اليمن يسعى الى نور الاسلام لما سمع ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال بعد مقدمه :

«أناكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية». وقد سمعه أهل البصرة يقول لهم :

- ايها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يكون الدموع حتى تنقطع ثم يكون الدماء حتى لو أجرى فيها السفن لسارت!

اجتمعت في الأشعري ما لم يجتمع لغيره فهو المقاتل الجسور والمناضل الفذ والمسالمة الوديع والفقيه الحصيف في الافتاء والقضاء حتى قيل: قضاة هذه الأمة اربعة :

عمر وعلى وابو موسى وزيد بن ثابت

وقد وصفه النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه «سيد الفوارس».

ولنا في موقعه «تستر» خير دليل فقد انسحب جيش القائد الفرس «الهرمزان» بجيشه وتحصن في «تستر» وجمع فيها من الجيوش ما جمع.

وانتظر الأشعري حتى وصل المدد العسكري من أمير المؤمنين بن الخطاب.. وعلى رأس الجيش معاون : عمار بن ياسر، البراء بن مالك، انس بن مالك،

مجزأة البقرى، سلمة بن رجاء.

تقدم الأشعرى بجيشه في مواجهة الهرمزان الذى فر الى داخل المدينة.. وبدأ الأشعرى يعيد خطته.. وحاصر المدينة اياما طويلة.. حتى نجح في استقطاب أحد الفرس وجنده كعميل وامده بمئتى فارس وطلب منه أن يتقدم نحو باب المدينة وان يحتال عليهم لانه منهم حتى تفتح له الباب فاذا فعلوا انقض الأشعرى بجيشه ونجحت الخطة واستسلم قادة الفرس.

وله ايضا في بلاد الفرس بطولة أخرى تشهد بها مدينة اصبهان (اصفهان).. وقد صالحهم على الجزية.. أو هكذا تعاهدوا معه.. لكنهم خالفوا.. وارادوا استثمار الوقت لاعداد عدتهم لضربة غادرة ضد الأشعرى وجيشه.. ولكنه بفتنة المؤمن ادرك ما في نواياهم.

فما انتصف النهار التالى الا وقد هزمهم شر هزيمة وكان قد سار من نهاوند الى اصبهان في العام الثالث والعشرين بشهادة ابن اسحاق.

وإذا استكان المحارب وخلا الى نفسه مع ربه وقرأ كتابه الكريم بدت الدنيا من حوله تتمايل طربا بصوته العذب الرخيم حتى قال عنه النبى محمد صلى الله عليه وسلم:

- يا أبا موسى لقد اوتيت مزماراً من مزامير داود.

وكثيرا ما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يسأله في المجلس : يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ المؤمن المنيب بصوت الوقار والخشية والورع فاذا الدموع تغمر العيون والخشوع يلف القلوب.

ولما نزل قول الله سبحانه وتعالى :

- ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة : 54]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«هم قومك يا أبا موسى أوماً إليه»

وعندما وقعت الفتنة بين علي رضي الله عنه ومعاوية اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع هذا ولا ذاك وكتب معاوية إليه :

- اما بعد فإن عمرو بن العاص قد بايعني على ما اريد وأقسم بالله لئن بايعتني على الذي بايعني لاستعملن احد ابنيك على الكوفة والآخر على البصرة ولا يغلق دونك باب ولا تقضى دونك حاجة وقد كتبت اليك بخطي فاكتب الى بخط يدك.

ولم يتردد الأشعري في صياغة الرد المناسب وبخط يده كما وعده وكتب الى معاوية يقول :

- أما بعد فأناك كتبت الى في جسيم أمر الأمة فماذا اقول لربي اذا قدمت عليه وليس لي فيما عرضت من حاجة والسلام عليك.

وكيف لا يكون رد الأشعري على هذا النحو الواثق القاطع وهو الصوام القوام الزاهد العابد الذي لم تغيره الامارة ولا اغتر بالدنيا وكان رأيه وقد بلغت الحال من السوء بين الطرفين ما بلغت : ان الحرب الأهلية القائمة يوم ذاك تدور بين طائفتين من المسلمين تتنازعان حول مقعد السلطة والامارة.. وهنا يجب ان يتنازل «علي» عن الخلافة.. وليتنازل «معاوية» كذلك على أن يرد الأمر كله الى جموع المسلمين من جديد يختارون بطريق الشورى الخليفة الذي يريدون.

وكان الامام «علي» عندما قبل مبدأ التحكيم قد اختار ان يمثله «عبدالله بن عباس» لكن فريقا كبيرا من شعبيته اشاروا اليه باختيار الأشعري لانه لم يشترك في نزاع.. لكنه اشفق عليه من خداع معاوية ومن يمثله وهو النقي التقى ومع ذلك اذعن للأمر ورضى بالأشعري ممثلاً.

وفي الموعد المحدد لجلسة التحكيم.. وقد وقع الاختيار على «عمرو بن العاص» ممثلاً لمعاوية.. وكان بينهما هذا الحوار التاريخي :

ابوموسى : يا عمرو هل لك فيما فيه صلاح الأمة ورضا الله.

عمرو : وما هو؟

ابوموسى : نولى عبدالله بن عمر فانه لم يدخل نفسه فى شىء من هذه الحرب.

عمرو : واين انت من معاوية؟

ابوموسى : ما معاوية بموضع لها ولا يستحقها

عمرو : الست تعلم ان عثمان قتل مظلوما؟

ابوموسى : بلى!

عمرو : فان معاوية ولى دم عثمان وبيته فى قريش ما قد علمت.. فإن قال الناس لم ولى الأمر وليست له سابقة فإن لك فى ذلك عذرا تقول : انى وجدته ولى عثمان والله تعالى يقول ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطٰنًا﴾ وهو مع هذا اخو (أم حبيبة) زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهو أحد اصحابه.

ابوموسى : اتق الله يا عمرو.. اما ما ذكرت فى شرف معاوية فلو كانت الخلافة تستحق بالشرف لكان أحق الناس بها «ابرهة بن الصباح» فانه من ابناء ملوك اليمن التيابعة الذين ملكوا شرق الارض وغربها.. ثم أى شرف لمعاوية مع على بن ابي طالب؟ وإما قولك ان معاوية ولى عثمان فأولى منه ابنه (عمرو بن عثمان) ولكن ان طاوعتنى احيينا سنة (عمر بن الخطاب) وذكره.. بان يتولى ابنه عبدالله.

عمرو : فما يمنعك من ابنى عبدالله مع فضله وصلاحه وقديم هجرته وصحبته.

ابوموسى : ان ابنك رجل صدق ولكنك غمسته فى هذه الحروب غمسا فهلم نجعلها للطيب ابن الطيب.

عمرو : يا أباموسى أنه لا يصلح لهذا الأمر الا رجل له ضرسان يأكل باحدهما ويطعم بالآخر.

ابوموسى : ويحك عمرو.. ان المسلمين قد اسندوا الينا هذا الأمر بعد ان تقارعوا بالسيوف وتشاكوا بالرماح فلا نردهم فى فتنه.

عمرو : فماذا ترى؟

ابوموسى : أرى أن نخلع الرجلين عليا ومعاوية ثم نجعلها شورى بين المسلمين لاختيار خليفتهم.

ولكن ابن العاص ناور واستثمر اقتراح الاشعرى بخلع «على» فى تثبيت «معاوية».. وفشلت المفاوضات وعاد بلبل القرآن يشكو الى ربه قلة حيلته.

وكثيرا ما قال فى أيام الحر الشديد :

«لعل ظمأ الهواجر يكون لنا رياء يوم القيامة»!

- 31 -

ثمامة من الكراهية الى الحب!

عندما اقترب من مشارف الكعبة المشرفة ارتفع صوته مدويا :

«لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك».

وبدأ رجال قريش يسألون أنفسهم :

- ما هذا الذى يقال؟

- ومن الذى يجرؤ ان يهتف بغير ما عهدنا من حجيج البيت؟

لم يتوقف الصوت عن التلبية.. ولم تتوقف الاسئلة بين رجال قريش وفتيانها فهبت غاضبة مذعورة وجهزت سيوفها ترد صاحب النداء عن ضلاله.. فهو لا ينشد لهبل وبعل وسائر الأصنام التى يتقربون اليها.. وما معنى كلامه الذى هز اسماعهم وقلوبهم.

وكانت المفاجأة عندما صاح احد فتيان قريش :

- انه ثمامة ملك اليمامة!!

وعقدت الدهشة السنتهم وجوارحهم.. وهم احد الفتيان ان يرمى بسهمه الى قلب ثمامة.. لكن احد كبار القوم صاح فيه :

- كف يدك!! .. اتعلم من هذا؟.. والله ان اصابه سوء لقطع قومه علينا المؤونة وامتنا جوعا.

واقترب رجل قريش الكبير من ثمامة يسأله في مودة وتقدير وعجب :

- ماذا بك يا ثمامة.. اكفرت وتركت دينك ودين آبائك.

قال ثمامة : الكفر ما انتم فيه.. وما كنت أنا ايضا عليه.. لكنها هداية رب الأرض والسماء الواحد الأحد قد اشرقت في روعي.. واقسم برب هذا البيت.. رب المشارق والمغارب الا يصلحكم بعد يومكم هذا حبة قمح واحدة من خيرات اليمامة.. الا أن تشهدوا بانه لا إله إلا الله وان محمد رسول الله.

كانوا لا يصدقون.. وارسلوا منهم من يأتي بالخبر اليقين.. وكيف تحول هذا الملك الموصوف «بالقيال» صاحب القول المسموع والأمر المطاع والذي كان يفخر بين قومه بانه اشد الناس بغضا على وجه البسيطة لمحمد واتباعه.. وكم قتل منهم وكاد لهم وأعلن الحرب عليهم.. ومع ذلك كتب اليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في سلسلة رسائله الى ملوك العرب والعجم يدعوه الى الاسلام وكان ذلك في العام السادس للهجرة النبوية المشرفة.

وعندما تلقى ثمامة الرسالة أخذته العزة بالاثم ساخرا ووقف وسط عشيرته قائلا :

- أنا ثمامة بن أثال الحنفي سيد يمامة يريدني ان اصبو وان اتخلى عن دين ابائي.. اتدرون ماذا سيكون ردى على رسالته تلك بسيفي هذا.. انه الرد

اللائق حتى يفيق الى رشده ويكف عن دعواه لقد قتلت ما قتلت من اصحابه.. لكنه ما يزال على عناده..

ولانه الرجل الذي يفعل ما يقول راح يتحين الفرصة للنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل ذلك قتل العشرات من الاصحاب والاتباع.. وكاد أن يصل الى هدفه لولا ان احد اعمامه حال بينه وبين ذلك.. لكن قلبه الملعون المشحون بالبغضاء كان لا يزال في عتمته.

وخرج صوب مكة المكرمة يريد الطواف حول الكعبة والذبح لاصنامها وتقديم قرابين التوسل والرجاء.. ولم يكن يدري انه واقع لا محال في فخ محمد صلى الله عليه وسلم وان حياته كلها سوف تتبدل وتتحول من النقيض الى النقيض.. وفي ذلك يكشف لنا ابوهريرة اسرار ما جرى حيث قال :

بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال : ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال : عندي خبر يا محمد إن قتلتني تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل منه ما شئت فترك حتى الغد ثم قال له : ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال عندي ما قلت؟.. وفي اليوم الثالث تكرر ما جرى.. حتى أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم قائلًا : اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : اشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله.. ثم اتجه الى حيث يجلس النبي محمد وقال له :

- يا محمد والله ما كان على الأرض وجه ابغض الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوده الى... والله ما كان من دين ابغض الى من دينك فاصبح دينك أحب الدين الى... والله ما كان من بلد ابغض الى من بلدك فاصبح بذلك أحب البلاد الى وان خيلك أخذتني وأنا اريد العمرة فماذا

ترى؟ فبشرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ان يعتمر وفي رواية اغتسل وصلى ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد حسن اسلام صاحبكم واتجه من فوره الى مكة.. وسبحان من يقلب القلوب والافئدة يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

- كان يبغى السفر لاصنام مكة.. واراد له الله سبحانه وتعالى ان يسافر اليها مسلما طاهرا وان يكون أول من يدخل الى الكعبة المشرفة مليا مهلا رغم أنف اصنام قريش.. وهدأ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من روعه وهو يقر بما اقترفت يداه ايام الجاهلية:

- هون عليك يا ثمامة فان الاسلام يجب ما قبله.. وزاد على ذلك ان بشره بالخير الذي ينتظره.. فتعهد امام النبي محمد ان يصيب من المشركين اضعاف ما اصاب من اصحاب محمد وان يضع نفسه وسيفه ومن معه لنصرة الدين.

وقد نفذ حصاره ضد أهل قريش في مكة حتى تفشى فيهم الجوع فلم يجدوا الا مخاطبة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم لكي يشفع لهم عند ثمامة.. ورغم عدواة قريش ومحاربتها لدين الاسلام الا أن نبي الرحمة كتب الى ثمامة يأمره بأن يطلق لهم مؤونتهم فلم يملك الا السمع والطاعة.. ولما توفي الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم وارتدت بعض قبائل العرب وقام مسليمة الكذاب ينشر دعواه الباطلة وقف له ثمامة كالأسد الثائر وخطب في قومه:

- يا بني حنيفة اياكم وهذا الأمر المظلم الذي لانور فيه انه والله لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم يا بني حنيفة انه لا يجتمع نبيان في وقت واحد وان محمدا رسول الله ولا نبي بعده ولا نبي يشرك معه ثم قرأ قول المولى سبحانه وتعالى:

- ﴿حَمِّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ [غافر: 1-3].

فأين كلام الله من كلام مسيلمة «ياضفدع نقي ما تنقين لا الشراب تمنعين ولا الماء تكدرين».

وظل ثمامة على قوة إيمانه يحارب كل مرتد حتى لقي ربه راضيا مرضيا كما بشره النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

- 32 -

عاصم .. المعصوم

وراحت سلافه بنت سعد.. تتفقد ارض المعركة ومعها بعض نساء قریش المشركات كل واحدة تبحث عن رجلها وولدها.

الجرحى في انفاسهم الاخيرة.. يلتمسون شربة ماء.. ويد تأخذهم الى دواء أو علاج بعد معركة أحد الحامية..

سلافه تسعى بين القتلى والدماء.. حتى وجدت زوجها صريعا.. فقامت تهوّل في خوف تفتش عن اولادها الثلاثة : «مسافع» و«كلاب» و«الجلال».. وقد اختلطت دموعها بدماء من سقطوا..

وعند سفح من سفوح أحد وجدتهم.. وياليتها لم تجدهم.. فها هما مسافع وكلاب قد فارقا الحياة.. وقد قبلتهما ذات اليمين والشمال فلا نبض ولا انفاس.. وكان الجلّال يصارع موته في لحظاته الأخيرة واقبلت عليه ووضعت رأسه على حجرها وراحت تقدم له الماء وتمسح الدماء.. وكاد الدمع ان يجف من عينيها من فرط ما بكت على ما فقدت.. وانحنى على ولدها تسأله متوسلة :

- من صرّك يا بنى..؟!!

وحاول الجلّال ان يحييها لكن حشيرة الموت كانت عليه اشد وغلبته ولكنها ألحت عليه بالسؤال؟

- من صرّك يا بنى؟

واستجمع الفتى ما بقى من جسده من قوة وخرجت الكلمات من فمه عسيرة
واهنة :

- انه عاصم بن ثابت وقد صرع أخى مسافعا.. و...!!

وإلى هنا انقطع الحبل الذى يربطه بالحياة.. وأضيف: إلى أبيه وأخويه.. وبذلك
اكتملت على سلافه رباعية الفقد العظيم وهبت واقفة.. ثم جلست.. ثم عادت
واقفة.. وهى تهيل على رأسها تراب أرض أحد.. وهبت تنادى قومها :

- الثأر.. الثأر.. يا قريش.. أقسم بالللات والعزى ألا تهدأ لى لوعة أو تجف
لعينى دمة.. أو تغمض لها جفن.. قبل أن اشرب من قحف رأس عاصم
بن ثابت ما يثملنى من الخمر.

أيها الناس.. هى مائة ناقة.. انذرها لمن يأتى برأس عاصم.. فمن يظفر بهديتى
يا فتيان مكة؟!!

(المطلوب حيا أو ميتا)

انه عاصم بن ثابت بن فقيس.. وفقيس هو الافلح بن عصمة بن مالك بن أمة
بن ضبيعة وأمه الشموس بنت ابي عامر بن صيفى بن النعمان وكان لعاصم من
الولد : محمد وأمه هند بنت مالك بن عامر بن حذيفة من بنى جحجبا بن كلفة
وقد أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عاصم وعبدالله بن جحش وقد شهد
بدرًا وأحد وثبت يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولى الناس
وبايعه على الموت وكان من الرماة المذكورين المشهود لهم بالبراعة.. وكان
يهتف مفاخرًا :

أنا ابو سليمان ومثلى راما

ورثت معجدي معشر كراما

أصيب مرثد وخالد قياما

كان يقاتل وقلبه يهفو الى الشهادة.. وفي ليلة العقبة أو ليلة بدر سأل النبي محمد صلى الله عليه وسلم رجاله :

- كيف تقاتلون؟

فقام عاصم فأخذ القوس والنبل قائلاً :

- اذا كان القوم قريباً من مائتي ذراع كان الرمي!!.. واذا دنوا واقتربوا اكثر كانت الرماح.. فاذا تقصف وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة (يقصد الصراع والمبارزة).

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

- هكذا نزلت الحرب.. من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم!

لكن المقاتل الشجاع كان يخوض معاركه وهو يعرف ان رأسه مرصود ومطلوب على حساب نذر سلافه وقد علم به.

فكان يكثر من الدعاء :

«اللهم انى احى لدينك وادافع عنه فاحم لحمى وعظمى ولا تظفر بهما أحداً من أعداء الله. اللهم انى حميت دينك أول النهار.. فأحم جسدى آخره».

كان بن ثابت لا يردد هذا الدعاء خوفاً على حياته.. بل حباً في الله.. فقد قاتل لوجه الله.

وعندما قدم وفد من بنى لحيان من هذيل وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث معهم من يعلمهم القرآن الكريم وشرائع الاسلام.. وقع اختياره على عاصم بن ثابت ومعه مرثد بن ابى الغنوى وخالد بن البكير الليثى وخبير بن عدى وزايد بن الدثنة بن معاوية وعبدالله بن طارق ويقول ابن هشام ان القوم كانوا من عضلى والقارة من ناحية تسمى الهون بن خزيمة بن مدركة.

وانطلق الموكب وعند الهدأة وهى موضوع بين مكة والطائف سئل اهلها لماذا سميت الهدأة قالوا لأن المطر يصيبها بعد هدأة من الليل..

وعندها كان الغدر فاستصرخ صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذيل وأهلها.. لكنها اهلوا الغوث.. وبعد تهديد ووعيد اعلنوا لهم انهم ما يريدون قتالا.. لكنهم يأملون مساومة قريش عليهم.. وكان يعرفون بأمر النذر الذى قطعته سلافة من نحو عام.

ورفض مرثد وبن البكير وعاصم عهد المشركين وقال عاصم فى ذلك :

ما علتى وانا جلد نابل (يعرف فن النبال)

والقوس فيها وتر عنابل (غليظ)

تزل عن صفحتها المعابل (النصل الطويل الحاد)

الموت حق والحياة باطل

وكل ما حم الاله (قدره) نازل

بالمرء والمرء اليه آيل (راجع)

ان لمرفاتكم فأمى هابل

ودفع عاصم ثمن الكبرياء فى شجاعة ولقى الموت راضيا عزيزا وأرادت هذيل ان تستثمر موته وتفوز بالجائزة الموعودة من سلافه..

لكن دعوة عاصم تجلت بقدرة رب السماء والارض.. فقد اوحى الله سبحانه وتعالى الى جمع من ذكور النحل (الدبر أو الدباير) ان تحيط به فخشى القوم من هذيل الاقتراب من رأس عاصم وقالوا :

دعوه يمسي فتذهب عنه فنأخذه!

وعند الليل جاء المطر سيلا فحمل الجثمان.. بعيدا عن اعين المتربصين به.

ولما بلغ عمر بن الخطاب نبأ ما جرى مع عاصم قال :
يحفظ الله العبد المؤمن .. فقد رضى عنه فقد سألته بن ثابت الا يمكن منه أهل
الشرك فكانت له :

وعناية الرحمن تعصم عاصما
وعن ان ينال براحة أو اصبع
بالسيل بعد الدبر (النحل) من أعدائه
في مصرع اكرم به من مصرع (موت)
وصان الله رأس عاصم الكريمة من ان يشرب في قحفها (أسفل الدماغ) الخمر.